الكتاب الجامع للفضائل

(٧٢)

متفرقات - هـ

الشيخ/ندا أبو أحمد



الكتاب الجامع للفضائل

(متفرقات – هـ)

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

١- فضل العدل والانصاف

أولًا: فضل العدل والانصاف مِنَ القُرآنِ الكريمِ.

ثانيًا: فضل العدل والانصاف مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

ثالثًا: فضل العدل والانصاف مِن أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ.

٢- فضل وجزاء الإمام العادل:

أ- الإمام العادل دعوته لا ترد.

ب- الإمام العادل مَن أجلَّهُ، أجلَّهُ الله، ومَن أطَاعَهُ، فقد أطاعَ رسول الله ﷺ.

جـ- الرفق بالرعية سبيل للفوز بدعوة النبي ﷺ.

د- الإمام العادل من جملة السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله.

هـ – أن الإمام العادل من أهل الجنة.

و – الإمام العادل سيكون في الجنَّة على منبر من نور على يمين رب العالمين.

٣- فضل من تكلم بحق عند سلطان جائر:

٤- فضل من صدع بالحق ومات دونه:

٥- فضل من قتل دون ماله مظلوماً:

٦- فضل وجزاء وثواب مَن لم تتلطخ يده بدم حرام:

أ- لا يزال في سعة من دينه مَن لم تتلطخ يده بدم حرام.

ب- مَن لم تتلطخ يده بدم حرام دائمًا له السبق إلى الخير، ودائمًا متصل بربه.

جـ – الفلاح لمن كفَّ يده عن قتل المسلمين.

د- مَن لم تتلطخ يده بدم حرام ليس له جزاء إلا الجنة.

٧- فضل العزلة عند فساد الناس

٨- فضل الهجرة:

٩- فضل العمل الصالح عند فساد الزمان:

١٠- فضل العمل الصالح في وقت الغفلة:

أ– العمل الصالح في وقت الغفلة أعظم للأجر.

ب– ومن فوائد العمل وقت غفلة الناس أنه يدفع البلاء.

جـ – العمل الصالح وقت غفلة الناس أمر محبوبٌ لله تعالى، لذا حثَّ عليه النبي ﷺ.

١١- فضل من اعتزل الظلمة فلم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم:

١٢- فضل إقامة حدود الله في الأرض:

١٣- فضل من جاهد نفسه وهواه:

١٤- فضل من شكر الله عز وجل على نعمه:

خير ما يكنز الناس قلبًا شاكرًا.

النبي ﷺ والشكر.

وصية النبي ﷺ لأصحابه بالشكر.

١٥- فضل من شكر الناس على فعل المعروف

من شكر الناس على معروف فقد شكر الله تعالى.

من أُسدي إليه معروفًا فليرده، فإن لم يستطع فليذكره فهذا من شكر المعروف.

من أُسدي إليه معروفًا فليدع ويثني على صاحبه وهذا من الشكر الواجب.

ومن أفضل صيغ الدعاء لمن أدى إليك معروفا ما جاءت به السنة.

من قال جزاك الله خيرًا لمن فعل المعروف فقد أبلغ الثناء.

١- فضل العدل والانصاف[١]:

أولًا: فضل العدل والانصاف مِن القُرآنِ الكريم:

أمَر اللهُ بإقامةِ العَدلِ وحَثَّ عليه، ومَدحَ مَن قامَ به، وذلك في آياتٍ كثيرةٍ؛ منها:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل:٩٠).

قال السَّعديُّ–رحمه الله–: " فالعَدلُ الذي أمَرَ اللهُ به يشمَلُ العَدلَ في حَقِّه، وفي حَقِّ عِبادِه؛ فالعَدلُ في ذلك أداءُ الحُقوقِ كامِلةً موفَّرةً؛ بأن يُؤَدِّيَ العَبدُ ما أوجَبَ اللهُ عليه مِنَ الحُقوقِ الماليَّةِ والبَدَنيَّةِ والمُركَّبةِ منهما في حَقِّه وحَقِّ عِبادِه، ويُعامِلَ الخَلقَ بالعَدلِ التَّامِّ، فيُؤَدِّيَ كُلُّ والٍ ما عليه تَحتَ وِلايتِه، سَواءٌ في ذلك وِلايةُ الإمامةِ الكُبرى، ووِلايةُ القَضاءِ، ونوَّابُ الخَليفةِ، ونوَّابُ القاضي. والعَدلُ هو ما فرَضَه اللهُ عليهم في كِتابِه، وعلى لسانِ رَسولِه، وأمرَهم بسُلوكِه، ومِنَ العَدلِ في المُعامَلاتِ أن تُعامِلَهم في عُقودِ البَيعِ والشِّراءِ وسائِرِ المُعاوَضاتِ، بإيفاءِ جَميعِ ما عليك، فلا تَبخَسَ لهم حَقًّا، ولا تَغُشَّهم ولا تَخدَعَهم وتَظلِمَهم، فالعَدلُ واجِبٌ، والإحسانُ فضيلةٌ مُستَحَبٌّ ". (تفسير الكريم الرحمن ص: ٤٤٧).

٢- وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ (الأنعام: ١٥٢).

أي: وإذا حَكمتُم بَينَ النَّاسِ فتكلَّمتُم فقولوا الحَقَّ بَينَهم، واعدِلوا وأنصِفوا ولا تَجوروا، ولو كان الذي يتَوجَّهُ الحَقُّ عليه والحُكمُ ذا قَرابةٍ لكم، ولا يحمِلنَّكم قَرابةُ قَريبٍ أو صَداقةُ صَديقٍ حَكمتُم بَينَه وبَينَ غَيرِه أن تَقولوا غَيرَ الحَقِّ فيما احتُكِمَ إليكم فيه ". (جامع البيان للطبري:٩/ ٦٦٦).

٣- وقال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (الأعراف: ٢٩).

أي: بالعَدلِ في العِباداتِ والمُعامَلاتِ، لا بالظُّلمِ والجَورِ ". (تيسير الكريم الرحمن ص: ٢٨٦).

٤- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء:١٣٥).

يقولُ ابنُ كثيرٍ–رحمه الله–: " يأمُرُ تعالى عِبادَه المُؤمِنينَ أن يكونوا قَوَّامينَ بالقِسطِ، أي: بالعَدلِ، فلا يعدِلوا عنه يمينًا ولا شِمالًا، ولا تَأخُذْهم في اللهِ لومةُ لائِمٍ، ولا يصرِفْهم عنه صارِفٌ، وأن يكونوا مُتَعاوِنينَ متساعِدينَ مُتَعاضِدينَ مُتَناصِرينَ فيه.

١- موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

وقولُه: ﴿**شُهَدَاءَ لِلَّهِ**﴾ **كما قال تعالى:** ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ**﴾ (الطلاق:٢)، أي: ليكُنْ أداؤُها ابتِغاءَ وجهِ اللهِ، فحينَئِذٍ تَكونُ صَحيحةً عادِلةً حَقًّا، خاليةً مِنَ التَّحريفِ والتَّبديلِ والكِتمانِ؛ ولهذا قال: ﴿**وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾. أي: اشهَدِ الحَقَّ، ولو عادَ ضَرَرُها عليك، وإذا سُئِلتَ عنِ الأمرِ فقُلِ الحَقَّ فيه وإن كان مَضرَّةً عليك؛ فإنَّ اللهَ سَيجعَلُ لمَن أطاعَه فرجًا ومَخرَجًا من كُلِّ أمرٍ يَضيقُ عليه. (تفسير القرآن العظيم:٢/٤٣٣).

٥- **وقال تعالى:** ﴿**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ (الشورى:١٥).

قال الطَّبَريُّ -رحمه الله-: " يقولُ تعالى ذِكرُه: وقُلْ لهم يا مُحَمَّدُ: وأمَرَني رَبِّي أن أعدِلَ بَينَكم مَعشَرَ الأحزابِ، فأسيرَ فيكم جَميعًا بالحَقِّ الذي أمَرَني به وبَعَثَني بالدُّعاءِ إليه... وعن قتادةَ، قَولُه: وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ قال: أُمِرَ نَبيُّ اللهِ ﷺ أن يَعدِلَ، فعَدَلَ حتَّى ماتَ صَلَواتُ اللهِ وسَلامُه عليه. والعَدلُ ميزانُ اللهِ في الأرضِ، به يأخُذُ للمَظلومِ مِنَ الظَّالِمِ، وللضَّعيفِ مِنَ الشَّديدِ، وبالعَدلِ يُصَدِّقُ اللهُ الصَّادِقَ، ويُكَذِّبُ الكاذِبَ، وبالعَدلِ يرُدُّ المُعتَديَ ويُوبِّخُه ". (جامع البيان:٢١/٥١٧)

٦- **وقال تعالى:** ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ (النحل: ٧٦).

وقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالعَدلِ**﴾ يعني: هل يستوِي هذا الأبكَمُ الكَلُّ على مَولاه، الذي لا يأتي بخَيرٍ حَيثُ توجَّه، ومَن هو ناطِقٌ مُتَكلِّمٌ، يأمُرُ بالحَقِّ، ويدعو إليه، وهو اللهُ الواحِدُ القَهَّارُ، الذي يدعو عِبادَه إلى تَوحيدِه وطاعَتِه، يقولُ: لا يستوِي هو -تعالى ذِكرُه- والصَّنَمُ الذي صِفتُه ما وُصِفَ. وقَولُه: وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يقولُ: وهو مَعَ أمرِه بالعَدلِ على طَريقٍ مِنَ الحَقِّ في دُعائِه إلى العَدلِ وأمرِه به مُستَقيمٍ لا يَعوجُّ عنِ الحَقِّ، ولا يزولُ عنه ". (جامع البيان للطبري:١٧/٢٦٢).

٧- **وقال تعالى:** ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾ (الحديد: ٢٥)

قال الشيخ ابنُ عُثَيمين -رحمه الله-: " ليسَ المُرادُ بالميزانِ هنا الميزانَ ذا الكِفَّتَينِ المَعروفَ، ولكِنَّ المُرادَ بالميزانِ العَدلُ، ومَعنى وضعِ الميزانِ أي: أثبَتَه للنَّاسِ ليقوموا بالقِسطِ، أي: بالعَدلِ ".

(تفسير ابن عثيمين: الحجرات - الحديد ص: ٣٠٤).

٨- وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (النساء: ٥٨)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو. والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام، وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وهذا مدح من الله لأوامره ونواهيه، لاشتمالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون ". اهـ

٩- والله تعالى يحب الذين يعدلون: قال تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات: ٩)

قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره: " وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ أي: العادلين في حكمهم بين الناس وفي جميع الولايات، التي تولوها، حتى إنه، قد يدخل في ذلك عدل الرجل في أهله، وعياله، في أدائه حقوقهم، وفي الحديث الصحيح:" **المقسطون عند الله، على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم، وما ولوا** ". اهـ

ثانياً: فضل العدل والانصاف مِن السُّنَّة النَّبَوِيَّة:

لقد أقامَ النَّبيُّ ﷺ العَدلَ، ورَغَّبَ فيه، وقد ورَدَتِ الأحاديثُ تَدُلُّ على تَطبيقِه قَواعِدَ العَدلِ، وإرسائِه لمَعالِمِه، منها:

١- ***ما أخرجه البخاري من حديث عائشة-رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:*** " **أنَّ قُرَيْشًا أهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: ومَن يُكَلِّمُ فِيهَا رَسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فقالوا: ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسولِ اللَّهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قالَ: إنَّما أهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّهِ لو أنَّ فَاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا** ".

- ***وفي رواية عند البخاري من حديث عروة بن الزبير بلفظ:*** " **أنَّ امْرَأَةً سَرَقَتْ في عَهْدِ رَسولِ اللَّهِ ﷺ في غَزْوَةِ الفَتْحِ، فَفَزِعَ قَوْمُها إلى أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ يَسْتَشْفِعُونَهُ، قالَ عُرْوَةُ: فَلَمَّا كَلَّمَهُ أُسامَةُ فيها، تَلَوَّنَ وجْهُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فقالَ: أتُكَلِّمُنِي في حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ؟! قالَ أُسامَةُ: اسْتَغْفِرْ لي يا رَسولَ اللَّهِ، فَلَمَّا كانَ العَشِيُّ قامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا، فأثْنَى علَى اللَّهِ بما هو أهْلُهُ، ثُمَّ قالَ: أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّما أهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ: أنَّهُمْ كانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَها. ثُمَّ أمَرَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ بتِلْكَ المَرْأَةِ، فَقُطِعَتْ يَدُها، فَحَسُنَتْ تَوْبَتُها بَعْدَ ذلكَ وتَزَوَّجَتْ. قالَتْ عائِشَةُ: فَكانَتْ تَأْتي بَعْدَ ذلكَ فأرْفَعُ حاجَتَها إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ** ".

٢- *وأخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ﷺ قال:* " **بايَعْنا رَسولَ اللهِ ﷺ على السَّمعِ والطَّاعةِ في عُسْرِنا ويُسرِنا، ومَنشَطِنا ومَكارِهِنا، وعلى ألَّا نُنازِعَ الأمرَ أهلَه، وعلى أن نَقولَ بالعَدلِ أينَ كُنَّا، لا نَخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ**[1] ".

(صحيح سنن النسائي:٤١٥٣) (صححه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أحمد:٢٢٧١٦).

٣- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هَريرَةَ ﷺ قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ:* " **سَبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّه يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: الإمامُ العادِلُ، وشابٌّ نَشَأ في عِبادةِ رَبِّه، ورَجُلٌ قَلبُه مُعلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلانِ تَحابَّا في اللهِ اجتَمَعا عليه وتفَرَّقا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنصِبٍ وجَمالٍ فقال: إنِّي أخافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصدَّقَ أخفى حَتَّى لا تَعلَمَ شِمالُه ما تُنفِقُ يَمينُه، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا ففاضَت عَيناه** ".

قال ابنُ رَجَبٍ-رحمه الله-: " وأوَّلُ هذه السَّبعةِ: الإمامُ العادِلُ: وهو أقرَبُ النَّاسِ مِنَ اللهِ يومَ القيامةِ، وهو على مِنبَرٍ مِن نورٍ على يمينِ الرَّحمَنِ، وذلك جَزاءٌ لمُخالفتِه الهوَى، وصَبرِه عن تَنفيذِ ما تَدعوه إليه شَهَواتُه وطَمَعُه وغَضَبُه، مَعَ قُدرَتِه على بُلوغِ غَرَضِه مِن ذلك؛ فإنَّ الإمامَ العادِلَ دَعَته الدُّنيا كُلُّها إلى نَفسِها، فقال: إنِّي أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمينَ، وهذا أنفَعُ الخَلقِ لعِبادِ اللهِ؛ فإنَّه إذا صَلَحَ صَلَحَتِ الرَّعيَّةُ كُلُّها، وقد رُويَ أنَّه ظِلُّ اللهِ في الأرضِ؛ لأنَّ الخَلقَ كُلَّهم يستَظِلُّونَ بظِلِّه، فإذا عَدَلَ فيهم أظَلَّه اللهُ في ظِلِّه ".

(فتح الباري:٤/٥٩).

٤- *وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سَعيدٍ الخُدريِّ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:* " **إنَّ مِن أعظَمِ الجِهادِ كَلِمةَ عَدلٍ عِندَ سُلطانٍ جائرٍ** ".

(صحيح سنن الترمذي:٢١٧٤) (وصحَّحه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود:٤٣٤٤)

قال ابنُ علَّانَ-رحمه الله-: " أي: من أمرٍ بمَعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو رَدٍّ عن مُحترَمٍ مِن نَفسٍ أو مالٍ أو نَحوِ ذلك ". (دليل الفالحين:٢/ ٤٨٤).

٥- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث النُّعمانِ بنِ بشيرٍ-رضِيَ اللهُ عنهما- قال:* " **سألَت أمِّي أبي بعضَ الموهبةِ لي مِن مالِه، ثُمَّ بدا له، فوهَبها لي، فقالت: لا أرضى حتَّى تُشهِدَ النَّبيَّ ﷺ، فأخذ بيدي وأنا غلامٌ، فأتى بي النَّبيَّ ﷺ، فقال: إنَّ أمَّه بنتَ رَواحةَ سألَتني بعضَ الموهبةِ لهذا، قال: ألك ولدٌ سِواه؟ قال: نعَم، قال: فأُراه قال: لا تُشهِدْني على جَورٍ، في رِوايةٍ: لا أشهَدُ على جَورٍ** ".

٦- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث جابرِ بنِ عَبدِ اللهِ-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال:* " **بينَما رَسولُ اللهِ ﷺ يُقَسِّمُ غَنيمةَ بالجِعْرانةِ إذ قال له رَجُلٌ: اعدِلْ. قال: لقد شَقِيتُ**[2] **إنْ لم أعدِلْ** ".

١- ورواه البخاري ومسلم بنحوه وفيه (بالحقِّ) بدلَ (بالعَدلِ).

٢- قَولُه:" شَقِيتُ" بضَمِّ التَّاءِ، مَعناه ظاهِرٌ، ولا مَحذورَ فيه، والشَّرطُ لا يستَلزِمُ الوُقوعَ؛ لأنَّه ليسَ مِمَّن لا يعدِلُ حتَّى يحصُلَ له الشَّقاءُ، بَل هو عادِلٌ فلا يشقى، وأمَّا "شَقِيتَ" على رِوايةِ فَتحِ التَّاءِ على الخِطابِ، فمَعناه: لقد ضَلَلْتَ أنتَ أيُّها التَّابِعُ حَيثُ تَقتَدي بمَن لا يعدِلُ، أو حَيثُ تَعتَقِدُ ذلك في نَبيِّك هذا القَولَ الذي لا يصدُرُ عن مُؤمِنٍ. (عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني:١٥/ ٦٢).

٧- *وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال:* " بَينَما نحن عندَ رسولِ اللهِ ﷺ وهو يقسِمُ قَسمًا أتاه ذو الخُوَيصرةِ -وهو رجُلٌ مِن بَني تميمٍ- فقال: يا رسولَ اللهِ، اعدِلْ، فقال: وَيلَك! ومَن يعدِلُ إذا لم أعدِلْ؟! قد خِبْتَ وخسِرْتَ[1] إنْ لم أكنْ أعدِلُ ".

وأخرج الطبراني في الأوسط من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إِذَا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ ". (الصحيحة:٤٦٩) (صحيح الجامع:٤٩٤)

- العَدْلَ بيْنَ اثنَيْنِ – صُلْحًا أو حُكمًا- يَكونُ صَدَقَةً:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمسُ، يَعْدِلُ بيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَى دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها، أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ".

- العدل في الحكم جزاؤه الجنة:

فقد أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه واللفظ له والنسائي في" السنن الكبرى" من حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " القُضاةُ ثلاثةٌ، اثنانِ في النَّارِ، وواحدٌ في الجنَّةِ، رجلٌ علِمَ الحقَّ فقضَى بِهِ فهوَ في الجنَّةِ، ورجلٌ قضَى للنَّاسِ علَى جَهْلٍ فَهوَ في النَّارِ، ورجلٌ جارَ في الحُكْمِ فَهوَ في النَّارِ، لقُلنا: إنَّ القاضيَ إذا اجتَهدَ فَهوَ في الجنَّةِ ". (صحيح ابن ماجه: ١٨٨٧)

– *وفي رواية:* " القضاةُ ثلاثةٌ قاضيانِ في النارِ وقاضٍ في الجنةِ فأما الذي في الجنةِ فرجلٌ عرفَ الحقّ فقضَى بِهِ فهو فِي الجنةِ ورجلٌ عرفَ الحقَ فلم يقضِ به وجارَ في الحُكمِ فهو في النارِ ورجل لم يَعرِفِ الحق فقضَى للناسِ على جهلٍ فهو للنارِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عياض بن حمار ﷺ قال: قال ﷺ: "... وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو-رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: قال ﷺ: " إنَّ المُقسِطين عِندَ اللهِ على مَنابرَ مِن نورٍ عن يمينِ الرَّحمَنِ- وكِلْتا يدَيه يمينٌ- الذين يعدِلونَ في حُكمِهم وأهليهم وما وَلُوا[2] ".

قال الشيخ ابنُ عُثَيمين-رحمه الله-: " فالعَدلُ واجِبٌ في كُلِّ شَيءٍ، لكِنَّه في حَقِّ وُلاةِ الأُمورِ آكَدُ وأَولى وأعظَمُ؛ لأنَّ الظُّلمَ إذا وقَعَ مِن وُلاةِ الأُمورِ حَصَلَتِ الفوضى والكراهةُ لهم؛ حَيثُ لم يَعدِلوا ".

(شرح رياض الصالحين:٣/٦٤١).

١- قَولُه:" خِبتَ وخَسِرتَ إنْ لم أعدِلْ": رُويَ بضَمِّ التَّاءِ فيهما وفتحِهما، فأمَّا الضَّمُّ فظاهِرُ المَعنى، وأمَّا الفتحُ فتَقديرُه: خِبتَ أنتَ وخَسِرتَ إن لم أعدِلْ أنا؛ إذ كُنتَ أنتَ مُقتَدِيًا بي وتابعًا لي. (إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض:٣/ ٦٠٨) (شرح النووي على مسلم:٧/ ١٥٩).
٢- وما وَلُوا: أي: كانت لهم عليه ولايةٌ. (شرح النووي على مسلم:١٢/ ٢١١).

ثالثًا: فضل العدل والانصاف مِن أقوالِ السَّلَفِ والعُلَماءِ:

١- *قال عَمرُو بنُ العاصِ ﷺ:* " لا سُلطانَ إلَّا بالرِّجالِ، ولا رِجالَ إلَّا بمالٍ، ولا مالَ إلَّا بعِمارةٍ، ولا عِمارةَ إلَّا بعَدلٍ ". (العقد الفريد لابن عبد ربه:١/٣٣).

٢- *وقال عَمَّار ﷺ:* " ثَلاثٌ مَن جَمعَهنَّ جَمعَ الإيمانَ: الإنصافُ مِن نَفسِك، والإنفاقُ مِنَ الإقتارِ، وبَذلُ السَّلامِ للعالَمِ ". (أخرجه البخاريُّ معلَّقًا ووصله ابن أبي شيبة في مصنفه:١١/٤٨) (انظر تغليق التعليق لابن حجر:٢/ ٣٦).

٣- *قال ابنُ هُبَيرةَ-رحمه الله-:* " ولَمَّا كان الإيمانُ يقتَضي أن تَظهَرَ ثَمَرَتُه عِندَ القُدرةِ على الخَصمِ، فيقينُ الإيمانِ في إنصافِ الخَصمِ، بحَيثُ يَعودُ الإنسانُ ولا مُنتَصِفَ منه غَيرُ نَفسِه، فإذا أنصَفَ مِن نَفسِه ولم تَأخُذْه العَصَبيَّةُ لها على أخيه، كان ذلك آيةً مِن آياتِ الإيمانِ". (الإفصاح عن معاني الصحاح:٦/٤٠٥)

٤- *وقال رِبعِيُّ بنُ عامرٍ ﷺ لرُستُمَ قائِدِ الفُرسِ لَمَّا سَألَه: ما جاءَ بكم؟ فقال:* " اللهُ ابتَعَثنا لنُخرِجَ مَن شاءَ مِن عِبادةِ العِبادِ إلى عِبادةِ اللهِ، ومِن ضِيقِ الدُّنيا إلى سَعَتِها، ومِن جَورِ الأديانِ إلى عَدلِ الإسلامِ، فأرسَلَنا بدينِه إلى خَلْقِه لنَدعوَهم إليه، فمَن قَبِل ذلك قَبِلْنا منه ورَجَعْنا عنه، ومَن أبى قاتَلْناه حتَّى نَفيءَ إلى مَوعودِ اللهِ...". (رواه الطبري في التاريخ:٢/٤٠١).

٥- *كتَبَ بَعضُ عُمَّالِ عُمَرَ بنِ عَبدِ العَزيزِ إليه:* " أمَّا بَعدُ، فإنَّ مَدينَتَنا قد خَرِبَت، فإن رَأى أميرُ المُؤمِنينَ أن يقطَعَ لها مالًا يَرُمُّها به فَعَل". فكتَبَ إليه عُمَرُ:" أمَّا بَعدُ، فقد فَهِمتُ كِتابَك وما ذَكرتَ أنَّ مَدينَتَكم قد خَرِبَت، فإذا قَرَأتَ كِتابي هذا فحَصِّنْها بالعَدلِ، ونَقِّ طُرُقَها مِنَ الظُّلمِ؛ فإنَّه مَرَمَّتُها. والسَّلامُ".
(حلية الأولياء لأبي نعيم:٥/ ٣٠٥).

٦- *وكَتَب عُمَرُ بنُ عَبدِ العَزيزِ لَمَّا وَلِيَ الخِلافةَ إلى الحَسَنِ البَصريِّ أن يكتُبَ إليه بصِفةِ الإمامِ العَدلِ، فكَتَبَ إليه الحَسَنُ:* " اعلَمْ يا أميرَ المُؤمِنينَ أنَّ اللهَ تعالى جَعل الإمامَ العَدلَ قِوامَ كُلِّ مائِلٍ، وقَصْدَ كُلِّ جائِرٍ، وصَلاحَ كُلِّ فاسِدٍ، وقوَّةَ كُلِّ ضَعيفٍ، ونَصَفةَ كُلِّ مَظلومٍ، ومَفزَعَ كُلِّ مَلهوفٍ...".
(التذكرة الحمدونية:٣/١٨٥).

٧- *وخَطَب سَعيدُ بنُ سُوَيدٍ بحِمصَ، فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثُمَّ قال:* أيُّها النَّاسُ، إنَّ للإسلامِ حائِطًا مَنيعًا، وبابًا وثيقًا؛ فحائِطُ الإسلامِ الحَقُّ، وبابُه العَدلُ، ولا يزالُ الإسلامُ مَنيعًا ما اشتَدَّ السُّلطانُ، وليست شِدَّةُ السُّلطانِ قَتلًا بالسَّيفِ، ولا ضَربًا بالسَّوطِ، ولكِنْ قَضاءً بالحَقِّ، وأخذًا بالعَدلِ ".
(العقد الفريد لابن عبد ربه:١/٢٧).

٨- *وقال يوسُفُ بنُ أسباطٍ -رحمه الله-:* " عَلامةُ حُسنِ الخُلُقِ عَشرُ خِصالٍ: قِلَّةُ الخِلافِ، وحُسنُ الإنصافِ، وتَركُ طَلَبِ العَثَراتِ، وتَحسينُ ما يبدو مِنَ السَّيِّئاتِ، والتِماسُ المَعذِرةِ، واحتِمالُ الأذى، والرُّجوعُ بالمَلامةِ على النَّفسِ، والتَّفرُّدُ بمَعرِفةِ عُيوبِ نَفسِه دونَ عُيوبِ غَيرِه، وطَلاقةُ الوَجهِ للصَّغيرِ والكَبيرِ، ولُطفُ الكَلامِ لمَن دونَه ولمَن فَوقَه ". (إحياء علوم الدين للغزالي:٣/٧١).

٩- ***وقال ابنُ حَمدون-رحمه الله-:*** " العَدلُ شِيمةٌ تَستوجِبُ الصِّفةَ بالكمالِ، ومَن أوتيَها مَلَك نَفسَه، ومَن مَلكَها نَجا، وقد نَدَبَ اللهُ عَزَّ وجَل إليه فِعلًا وقولًا وخُلُقًا ". (التذكرة الحمدونية:٣/١٧٠).

١٠- ***وقال ابنُ حَزمٍ-رحمه الله-:*** " أفضَلُ نِعَمِ اللهِ تعالى على المَرءِ أن يَطبَعَه على العَدلِ وحُبِّه، وعلى الحَقِّ وإيثارِه ". (الأخلاق والسير ص: ٩٠).

١١- ***وقال ابنُ تيميَّةَ-رحمه الله-:*** " العَدلُ نِظامُ كُلِّ شَيءٍ، فإذا أُقيمَ أمرُ الدُّنيا بعَدلٍ قامَت، وإنْ لم يكُنْ لصاحِبها في الآخِرةِ مِن خَلاقٍ، ومَتى لم تَقُمْ بعَدلٍ لم تَقُمْ، وإن كان لصاحِبها مِنَ الإيمانِ ما يُجزى به في الآخِرةِ ". (مجموع الفتاوى:٢٨/١٤٦).

- ***وقال أيضًا:*** وأُمورُ النَّاسِ تَستَقيمُ في الدُّنيا مَعَ العَدل الذي فيه الاشتِراكُ في أنواعِ الإثمِ أكثَرَ مِمَّا تَستَقيمُ مَعَ الظُّلمِ في الحُقوقِ وإن لم تَشتَرِكْ في إثمٍ؛ ولهذا قيل: إنَّ اللهَ يُقيمُ الدَّولةَ العادِلةَ وإن كانت كافِرةً، ولا يُقيمُ الظَّالمةَ وإن كانت مُسلمةً. ويُقالُ: الدُّنيا تَدومُ مَعَ العَدلِ والكُفرِ، ولا تَدومُ مَعَ الظُّلمِ والإسلامِ ".
(مجموع الفتاوى:٢٨/١٤٦).

١٢- ***وقال ابنُ القَيِّمِ-رحمه الله-:*** " ومَن له ذَوقٌ في الشَّريعةِ، واطِّلاعٌ على كمالِها وتَضَمُّنِها لغايةِ مَصالحِ العِبادِ في المَعاشِ والمَعادِ، ومَجيئِها بغايةِ العَدلِ الذي يسَعُ الخَلائِقَ، وأنَّه لا عَدلَ فوقَ عَدلِها، ولا مَصلحةَ فوقَ ما تَضَمَّنَته مِنَ المَصالحِ، تَبَيَّنَ له أنَّ السِّياسةَ العادِلةَ جُزءٌ مِن أجزائِها، وفرعٌ مِن فُروعِها، وأنَّ مَن أحاطَ عِلمًا بمَقاصِدِها، ووضَعَها مَوضِعَها، وحَسُنَ فهمُه فيها، لم يحتَجْ مَعَها إلى سياسةٍ غَيرِها البَتَّةَ. فإنَّ السِّياسةَ نَوعانِ: سياسةٌ ظالمةٌ، فالشَّريعةُ تُحرِّمُها، وسياسةٌ عادِلةٌ تُخرِجُ الحَقَّ مِنَ الظَّالمِ الفاجِرِ، فهي مِنَ الشَّريعةِ، عَلِمَها مَن عَلِمَها، وجَهِلَها مَن جَهِلَها ". (الطرق الحكمية ص: ٥).

- ***وقال ابنُ القَيِّمِ أيضًا:*** "... إنَّ اللهَ سُبحانَه أرسَل رُسُلَه وأنزَل كُتُبَه؛ ليقومَ النَّاسُ بالقِسطِ، وهو العَدلُ الذي قامَت به الأرضُ والسَّمَواتُ، فإذا ظَهَرَت أماراتُ العَدلِ، وأسفرَ وَجهُه بأيِّ طَريقٍ كان، فثَمَّ شَرعُ اللهِ ودينُه، واللهُ سُبحانَه أعلَمُ وأحكَمُ وأعدَلُ أن يخُصَّ طُرُقَ العَدلِ وأماراتِه وأعلامَه بشَيءٍ، ثُمَّ ينفيَ ما هو أظهَرُ منها وأقوى دَلالةً وأبيَنَ أمارةً فلا يجعَلَه منها، ولا يحكُمَ عِندَ وُجودِها وقيامِها بموجِبِها، بل قد بَيَّنَ سُبحانَه بما شَرَعَه مِنَ الطُّرُقِ أنَّ مَقصودَه إقامةُ العَدلِ بَينَ عِبادِه، وقيامُ النَّاسِ بالقِسطِ، فأيُّ طَريقٍ استُخرِجَ بها العَدلُ والقِسطُ فهي مِنَ الدِّينِ وليست مُخالِفةً له ". (المصدر السابق ص: ١٩).

١٣- ***وقال ابنُ مُفلحٍ -رحمه الله-:*** " وأقبِلْ على مَن يُقبِلُ عليك، وارفَعْ مَنزِلةَ مَن عَظُمَ لدَيك، وأنصِفْ حَيثُ يجِبُ الإنصافُ، واستَعِفَّ حَيثُ يجِبُ الاستِعفافُ، ولا تُسرِفْ فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الإسرافَ، وإن رَأيتَ نَفسَك مُقبِلةً على الخَيرِ فاشكُرْ، وإن رَأيتَها مُدبِرةً عنه فازجُرْ ". (الآداب الشرعية لابن مفلح:٤/٣١٥).

ومن فضل وفوائدُ العَدلِ والإنصافِ كذلك

١- أنه بالعَدلِ يستَتِبُّ الأمنُ في البلادِ، وتَحصُلُ الطُّمَأنينةُ في النُّفوسِ، ويشعُرُ النَّاسُ بالاستِقرارِ، وبذلك يُقضى على المُشكِلاتِ الاجتِماعيَّةِ والاضطِراباتِ التي تحدُثُ في الدُّوَلِ بسَبَبِ الظُّلمِ.

٢- **بالعَدلِ يعُمُّ الخَيرُ في البلادِ:** فالعَدلُ سَبَبٌ في حُصولِ الخَيرِ والبَرَكةِ إذا كان مُنتَشِرًا بَينَ الوُلاةِ، وبَينَ أفرادِ المُجتَمَعِ؛ **يقولُ ابنُ الأزرَقِ:**" إنَّ نيَّةَ الظُّلمِ كافيةٌ في نَقصِ بَرَكاتِ العِمارةِ؛ فعن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ قال: إذا هَمَّ الوالي بالعَدلِ أدخَل اللهُ البَرَكاتِ في أهلِ مَملكتِه حتَّى في الأسواقِ والأرزاقِ، وإذا هَمَّ بالجَورِ أدخَل اللهُ النَّقصَ في مَملكتِه حتَّى في الأسواقِ والأرزاقِ ". (بدائع السلك لابن الأزرق:١/٢٢٧)

فقيامُ العَدلِ في الأرضِ كالمَطَرِ الوابِلِ بل هو خَيرٌ مِن خِصبِ الزَّمانِ كما قيل، **فمِن كلامِهم:**" سُلطانٌ عادِلٌ خَيرٌ مِن مَطَرٍ وابِلٍ، وقالوا: عَدلُ السُّلطانِ خَيرٌ من خِصبِ الزَّمانِ، وفي بَعضِ الحِكَمِ: ما أمحَلَت[1] أرضٌ سال عَدلُ السُّلطانِ فيها، ولا مُحِيَت بُقعةٌ فاءَ ظِلُّه عليها ". (المصدر السابق:١/٢٣٢).

٣- **بالعَدلِ يظهَرُ رُجحانُ العَقلِ: قيل لبَعضِهم:** مَن أرجَحُ المُلوكِ عَقلًا، وأكمَلُهم أدَبًا وفضلًا؟ قال: مَن صَحِبَ أيَّامَه بالعَدلِ، وتحرَّز جُهدَه مِنَ الجَورِ، ولقيَ النَّاسَ بالمُجامَلةِ، وعامَلهم بالمَسألةِ، ولم يُفارِقِ السِّياسةَ، مَعَ لينٍ في الحُكمِ، وصَلابةٍ في الحَقِّ، فلا يأمَنُ الجَريءُ بَطشَه، ولا يخافُ البَريءُ سَطوتَه. (المصدر السابق).

٤- **العَدلُ أساسُ الدُّوَلِ والمُلكِ وبه دَوامُهما: وقد جاء في بَعضِ الحِكَمِ:** أحَقُّ النَّاسِ بدَوامِ المُلكِ وباتِّصالِ الوِلايةِ أقسَطُهم بالعَدلِ في الرَّعيَّةِ، وأخفُّهم عنها كَلًّا ومؤونةً، ومِن أمثالِهم: مَن جَعَل العَدلَ عُدَّةً طالت به المُدَّةُ ". (المصدر السابق)

٥- مَن قامَ بالعَدلِ نال مَحَبَّةَ اللهِ سُبحانَه؛ **قال تعالى:** ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩). وكفى شَرَفًا فضيلةٌ يُحِبُّ اللهُ فاعِلَها ". (التذكرة الحمدونية:٣/١٧٠).

٦- بالعَدلِ يحصُلُ الوِئامُ بَينَ الحاكِمِ والمَحكومِ.

٧- بالعَدلِ يسودُ في المُجتَمَعِ التَّعاوُنُ والتَّماسُكُ والثِّقةُ بَينَ أفرادِه.

٨- بالعَدلِ تَصفو النُّفوسُ وتَزولُ البَغضاءُ والشَّحناءُ.

٩- في إقامةِ العَدلِ حَثٌّ على العَمَلِ والتَّنميةِ.

١٠- أهلُ العَدلِ لهمُ الأجرُ العَظيمُ والجَزاءُ الحَسَنُ في الآخِرةِ.

١- أمحَلَت: أي: ما أجدَبَت. (الصحاح للجوهري:٥/ ١٨١٧).

٢- فضل وجزاء الإمام العادل:

وإذا أقام الإمام العدل في الناس ساد في الأرض الاستقرار، والأمن، والأمان، والحب، والوئام؛ **لذا أعطاه الله من الفضائل الكثير، ومنها:**

أ- الإمام العادل دعوته لا ترد:

فقد أخرج البيهقي في" الشعب" عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاثة لا يَرِدُّ اللهُ دعاءَهم، الذاكرُ اللهَ كثيرًا، والمظلوم، والإمام المُقسِط ".** (صحيح الجامع:٣٠٦٤)

ب- الإمام العادل مَن أجلّه، أجلّهُ الله، ومَن أطَاعَهُ، فقد أطاعَ رسول الله ﷺ:

فقد أخرج الطبراني عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مَن أجَلَّ سلطان الله، أجَلَّه اللهُ يوم القيامة ".** (صحيح الجامع: ٥٩٥١) (الصحيحة ٢٢٩٧)

– *وأخرج الترمذي من حديث أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* **" مَن أهان سُلطان الله في الأرض، أهانه الله ".** (صحيح الجامع:٦١١١) (الصحيحة: ٢٢٩٦)

– *وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:* **" مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصى الله، ومَن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومَن يعصِ الأمير فقد عصاني ".**

جـ- الرفق بالرعية سبيل للفوز بدعوة النبي ﷺ:

فحقٌّ على مَن ملَّكه الله أمور خلقه، واختصه بإحسانه، ومكَّن له في سلطانه أن يرفق بالناس، ولا يشق عليهم، حتى لا تصيبه دعوة النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام مسلم عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: سمعت النبي ﷺ يقول في بيتي هذا:

" اللهم مَن وَلِي مِن أمرِ أُمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقُقْ عليه، ومَن ولِي مِن أمر أُمتي شيئًا فرفَق بهم، فارفُق به ".

ونحن نُردِّد خلف النبي ﷺ ونقول: آمين.

- **عمر ﷺ وشفقته على رعيته:**

"في عام الرمادة أمَر يومًا بنحر جَزورٍ، وتوزيع لحمه على أهل المدينة ! وعند الغداء وَجَدَ عمرُ أمامه سَنامَ الجزور وكَبِدَه، وهما أطيب ما فيه، فقال: من أين هذا؟ قيل: من الجزور الذي ذُبح اليوم، قال: بخٍ... بخٍ، بئس الوالي أنا إن طَعِمتُ أطْيَبَها، وتركتُ للناس كَرَاديسَها[1] ثم نادى خادمه أسلم، وقال له: يا أسلم، ارفع هذه الجَفنةَ، وائتني بخبزٍ وزيت ".

١ ـ كَرَاديسَها: يعني: عظامها.

د- الإمام العادل من جملة السبعة الذين يظلُّهم الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظله:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **سبعةٌ يُظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله: إمام عدل... ". الحديث**

قال ابن حجر -رحمه الله-: " وقدَّمه في الذكر لعموم النفع به ".

وقال ابن الجوزي -رحمه الله- في كتابه "الشفاء من مواعظ الملوك والخلفاء" ص:٢٣: " ومتى يسلم السلطانُ من الحيف لم يُزاحَم في فضيلته، وتزيدُ مرتبةُ السلطان العادل على قُوَّام الليل، وصُوَّام النهار؛ لأن نفع أولئك لا يتعداهم ونفعه يتعدى، إذ بنظره يتعبدُ المتعبدون، ويسافر التاجرون، ويشتغل بالعلم المُتعلِّمون، فكأنه عَبَدَ الله بعبادة الكُلِّ ".

هـ - أن الإمام العادل من أهل الجنة:

ففي حديث طويل أخرجه الإمام مسلم من حديث عياض بن حمار المُجَاشِعيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **وَأَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ....**".

و - الإمام العادل سيكون في الجنّة على منبر من نور على يمين رب العالمين:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ﷻ وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حُكمهم وأهليهم وماوَلُوا** ". وضبطت: "**وما وُلُّوا**".

وإذا أردنا أن نضرب مثالًا للإمام العادل، فلا نجد أفضل من سيد الخلق، وحبيب الحق، وإمام المتقين، وسيد الناس أجمعين الحبيب الأمين ﷺ.

فها هو النبي ﷺ يجلس عن يمينه ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو غلام، ويجلس عن يساره أبو بكر ﷺ وهو مَن؟ ثاني اثنين إذ هما في الغار، فهو له المنزلة العالية، والسبق في الإسلام، وهو أحبُّ الناس لرسول الله ﷺ: فجيء بقدح، فشرب منه النبي ﷺ، ومِن حقِّ العطاء أن يكون لمن على اليمين، فلم يعطِ لأبى بكر مع طول صحبته، وعلو منزلته، وعظيم مِننِه، قبل ابن عباس مع حداثة سِنِّهِ، لكن قال لابن عباس: الحق لك، ولكن هل تأذن لأبي بكرٍ فيشرب قبلك؟ فيقول ابن عباس- رضي الله عنهما-: والله لا أوثر على سُؤرك أحدًا يا رسول الله، فيناوله النبيُ ﷺ، فيشرب قبل أبي بكر ".

بل انظر لهذا الموقف الجليل الذي يدل على عدل الرسول الأمين ﷺ:

لقد بلغ العدل بالنبي ﷺ أن يُقدِّم نفسه للقصاص، موقف عجيب يعجز الإنسان عن وصفه، والعقل عن إدراكه.

" فبينما الرسول ﷺ يُعدِّلُ صفوف جيشه يوم بدرٍ، مَرَّ بسوادِ بن غُزَّية مستنصلًا من الصف– أي خارج عن الصف– فطعن في بطنه بالقدح، وقال: استوِ يا سواد، فقال سواد: أوجعتني يا رسول الله فأَقِدْني– خذ لي بالحق من نفسك– فكشف الحبيب ﷺ عن بطنه، وقال: استَقِدْ، فاعتنقه سواد وقبَّل بطنه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على هذا يا سواد، قال سواد: يا رسول الله قد حضر ما ترى، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمسَّ جلدي جلدك، فدعا له رسول الله ﷺ بخير".

(رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبد الله بن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب)

٣- فضل من تكلم بحق عند سلطان جائر:

بداية لابد أن نعلم أن الشرع الحكيم حثنا على نصح ولاة وأئمة المسلمين:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنا: لِمَنْ؟ قالَ: لِلَّهِ ولِكِتابِهِ ولِرَسولِهِ ولأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وعامَّتِهِمْ ".**

وأخرج النسائي من حديث أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إن الدينَ النصيحةُ–إن الدينَ النصيحةُ– إن الدينَ النصيحةُ. قالوا: لمَن يا رسولَ اللهِ؟ قال:" للهِ ولكتابِه ولرسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتِهم ".** (صحيح النسائي: ٤٢١٠)

والنَّصيحةُ لأئمَّةِ المسلمين تكونُ بمُعاونتِهم على الحَقِّ، وطاعتِهم في المَعروفِ، وتَنبيهِهم وتَذكيرِهم برِفقٍ ولُطفٍ بأنسبِ الطُّرقِ على ما غَفَلوا عنه، مع إعانتِهم في إصلاحِ النَّاس، وعدَمِ الخروجِ، إلَّا أن يُرَى مِنهم كُفرٌ بواحٌ عِندنا فيه منَ اللهِ تَعالَى بُرهانٌ، وهذا مَشروطٌ بالقُدرةِ وعَدمِ حُصولِ مَفسدةٍ أكبَرَ.

أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: **" أَخرَجَ مَرْوانُ المِنبَرَ في يومِ عيدٍ، ولم يكُنْ يَخرُجْ به، وبدَأَ بالخُطبةِ قبْلَ الصلاةِ، ولم يكُنْ يَبدَأُ بها، قال: فقام رجُلٌ فقال: يا مَرْوانُ، خالَفْتَ السُّنَّةَ، أَخرَجْتَ المِنبَرَ في يومِ عيدٍ، ولم يَكُ يُخرَجُ به في يومِ عيدٍ، وبدَأْتَ بالخُطبةِ قبْلَ الصلاةِ، ولم يكُنْ يُبدَأُ بها، قال: فقال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ: مَن هذا؟ قالوا: فُلانُ بنُ فُلانٍ، قال: فقال أبو سعيدٍ: أمَّا هذا، فقد قَضى ما عليه، سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ:" مَن رأَى منكم مُنكَرًا فإنِ استَطاعَ أنْ يُغيِّرَه بيدِه فلْيَفعَلْ"، وقال مرَّةً: "فلْيُغيِّرْه بيدِه، فإنْ لم يَستطِعْ بيدِه فبلِسانِه، فإنْ لم يَستطِعْ بلِسانِه فبقَلْبِه، وذلك أَضعَفُ الإيمانِ ".**

وجعل النبيﷺ كلمة الحق عند سلطان جائر من أفضل الجهاد:

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ –أو أميرٍ جائرٍ– ". (صحيح أبي داود: ٤٣٤٤)

– *وفي رواية:* " أنَّ النبيَّ ﷺ سئل أيُّ الجهادِ أفضلُ قال كلمةُ حقٍّ عند سلطانٍ جائرٍ".

أخرج الإمام أحمد ابن ماجه من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: " عرضَ لِرسولِ اللَّهِ ﷺ رجلٌ عندَ الجَمرةِ الأولى، فقالَ: يا رسولَ اللَّهِ أيُّ الجِهادِ أفضلُ؟ فسَكَتَ عنهُ، فلمَّا رمى الجمرةَ الثَّانيةَ، سألَهُ، فسكَتَ عنهُ، فلمَّا رمى جمرةَ العقبَةِ، ووضعَ رجلَهُ في الغرزِ ليركبَ، قالَ: أينَ السَّائلُ؟ قالَ: أنا، يا رسولَ اللَّهِ قالَ: كلِمةُ حقٍّ عندَ ذي سُلطانٍ جائرٍ ". (صحيح ابن ماجه:٣٢٤١)

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من نَبيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ في أُمَّةٍ قَبْلِي إلَّا كانَ له مِن أُمَّتِهِ حوارِيُّونَ، وأَصْحابٌ يَأْخُذُونَ بسُنَّتِهِ ويَقْتَدُونَ بأَمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخْلُفُ مِن بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يقولونَ ما لا يَفْعَلُونَ، ويَفْعَلُونَ ما لا يُؤْمَرُونَ، فمَن جاهَدَهُمْ بيَدِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بلِسانِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، ومَن جاهَدَهُمْ بقَلْبِهِ فَهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وراءَ ذلكَ مِنَ الإيمانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ ".

٤- فضل من صدع بالحق ومات دونه:

قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (يس: ٢٠-٢٧)

أخرج ابن حبان والحاكم من حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:
" سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جَائِرٍ فأمرَهُ ونَهاهُ؛ فقَتَلَهُ ".
(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٣٠٨) (السلسلة الصحيحة: ٣٧٤)

٥- فضل من قتل دون ماله مظلوماً:

وأخرج النسائي من حديث سعيد بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **من قاتل دون مالِه، فقُتل فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ دمِه، فهو شهيدٌ، ومن قاتل دونَ أهلِه، فهو شهيدٌ** ". (صحيح النسائي: ٤١٠٥)

أخرج الإمام أحمد والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو –رضِي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ مَظلومًا؛ فلهُ الجنةُ** ". (صحيح الجامع: ٦٤٤٦)

٦- فضل وجزاء وثواب مَن لم تتلطخ يده بدم حرام:

فالنبي ﷺ يحمل البشارة لكل من نزَّه نفسه وكف يده عن الوقوع في مثل هذا الذنب العظيم والجرم الكبير.

أ- لا يزال في سعة من دينه مَن لم تتلطخ يده بدم حرام:

في صحيح البخاري عن ابن عمر –رضى الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: " **لا يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه[1] ما لم يصب دمًا حرامًا** ".

ب- مَن لم تتلطخ يده بدم حرام دائمًا له السبق إلى الخير، ودائماً متصل بربه:

وأخرج البخاري في" تاريخه" وأبو داود عن أبي الدرداء وعبادة بن الصامت –رضي الله عنهما– عن النبي ﷺ قال: " **لا يزال المؤمن مُعْنِقًا[2] صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَّح[3]** ".
(صحيح الجامع: ٧٦٩٣)

جـ - الفلاح لمن كفَّ يده عن قتل المسلمين:

فقد أخرج أبو داود عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ويل للعرب من شر قد اقترب، أفلح مَن كفَّ يده[4]** ".

د- مَن لم تتلطخ يده بدم حرام ليس له جزاء إلا الجنة:

وأخرج ابن ماجه من حديث عامر الجُهَنِيِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: " **مَن لقي الله لا يشرك به شيئًا، لم يتندَّ بدمٍ حرامٍ، دخل الجنة** ". (الصحيحة: ٢٩٢٣)

– *في صحيح البخاريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال:* " **ومَن استطاعَ ألَّا يُحالَ بينَه وبينَ الجنةِ بمِلْءِ كفِّه مِن دَمٍ أهراقَه، فلْيَفعلْ** ".

١- لا يزال المؤمن في فسحة من دينه: أي في سعة من دينه، ما لم يصب دمًا حرامًا، فإذا أصاب الإنسان دمًا حرامًا فإنه يضيق عليه دينه، أي إن صدره يضيق به، وربما يفضي به ذلك إلى ما لا يحمد عقباه، إن لم يتب إلى الله تعالى. (أفاده ابن عثيمين)
٢- المعنق: طويل العنق، وهو الذي له سوابق في الخير. وقال صاحب عون المعبود: أتى معنقًا: بصيغة اسم الفاعل؛ من الاعناق: أي خفيف الظهر، سريع السير. وقال في النهاية: أي مسرعًا في طاعته منبسطًا في عمله، وقيل: أراد يوم القيامة.
٣- بلَّح: أي أعيا وانقطع. وقال في النهاية: بلح الرجل: إذا انقطع من الإعياء، فلم يقدر أن يتحرك، وقد أبلحه السير فانقطع به، يريد وقوعه في الهلاك بإصابة الدم الحرام، وقد يخفف اللام.
٤- أي: كف يده عن أذى المسلمين وقتالهم.

٧- فضل العزلة عند فساد الناس[١]:

وأخرج الإمام مسلم من حديث عامرُ بنُ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ ﷺ قال: **" كانَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاصٍ في إبِلِهِ[٢]، فَجَاءَهُ ابنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ قالَ: أَعُوذُ باللَّهِ مِن شَرِّ هذا الرَّاكِبِ، فَنَزَلَ فقالَ له: أَنَزَلْتَ في إبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ المُلْكَ بيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ في صَدْرِهِ، فَقالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العَبْدَ التَّقِيَّ[٣]، الغَنِيَّ[٤]، الخَفِيَّ[٥] ".**

وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يُوشِكُ أنْ يكونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الجِبَالِ ومَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ ".**

وفي هذا الحَديثِ يُبيِّنُ النبيُّ ﷺ للصَّحابةِ الكرامِ رَضيَ اللهُ عنهم أنَّه يَقرُبُ أنْ تَتغيَّرَ وتَتبدَّلَ الأحوالُ، وتَدخُلَ الفِتَنُ وتَعُمَّ الناسَ والبِلادَ، فإذا كان الحالُ كذلك، فإنَّ خيرَ مالٍ يتَّخِذُه المسلِمُ حينَئذٍ هو الغَنَمُ، وخُصَّت بذلك؛ لِمَا فيها مِن السَّكينةِ والبَرَكةِ؛ لأنَّ المُعتزِلَ عنِ النَّاسِ بالغَنمِ يَأكُلُ مِن لُحومِها ونِتاجِها، ويَشرَبُ مِن ألْبانِها، ويَستمتِعُ بأصوافِها باللُّبسِ وغيرِه، وهي تَرعَى النَّباتَ والعُشبَ في الجِبالِ، وتَرِدُ المِياهَ، وهذه المَنافعُ والمرافِقُ لا تُوجَدُ في غيرِ الغَنمِ، وكذلك هي في نُمُوِّها وزِيادتِها أبعَدُ مِن الشَّوائبِ المُحرَّمةِ؛ كالرِّبا، والشُّبهاتِ المَكروهةِ، وهي سَهلةُ الانقيادِ، خَفيفةُ المَؤُونةِ، كَثيرةُ النَّفعِ، فيَرْعاها ويَتْبَعُ بها "شَعَفَ الجبالِ"، أي: رُؤوسَها وأعالِيَها؛ فإنَّها تَعصِمُ مَن لَجَأَ إليها مِن عدُوٍّ، "ومَواقِعَ المَطرِ"؛ وهي بُطونُ الأودِيةِ والصَّحارى؛ لأنَّه يَجِدُ فيها الكلأَ والعُشبَ والماءَ، فيَشرَبُ منها، ويَسقِي غَنَمَه، وتَرْعى غنَمُه مِن الكلأِ. فيَهرُبُ خَشيةً على دِينِه مِن الوقوعِ في تلك الفِتَنِ، وطلَبًا للسَّلامةِ؛ فإنَّ مَن خالَطَ الفِتَنَ لم يَسلَمْ دِينُه مِن الإثمِ. والمرادُ بالفِتَنِ التي في الحديثِ: هي الَّتي يَختلِطُ فيها الحقُّ بالباطلِ، ولا يَقدِرُ المرءُ على تَمييزِهما، أمَّا الَّتي يَتمايَزُ فيها الحقُّ عن الباطلِ فإنَّ المرءَ مُطالَبٌ بالانحيازِ إلى الحقِّ ومُدافعةِ الباطلِ. ويَحتمِلُ أنْ يكونَ المرادُ بالفِتَنِ: ما يكونُ مِن غَلَبةِ الفَسادِ على أهلِ الزَّمانِ، واستِقواءِ أهلِ الباطلِ، وضَعفِ أهلِ الإيمانِ، فلا يَسْلَمُ منها المُقيمُ فيها، فيَفِرُّ بدِينِه منها؛ لأنَّ مُصيبةَ الدِّينِ لا تَنجبِرُ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" مِنْ خَيْرِ مَعاشِ النَّاسِ لهمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ، يَطِيرُ علَى مَتْنِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً، أوْ فَزْعَةً طارَ عليه، يَبْتَغِي القَتْلَ والْمَوْتَ مَظانَّهُ، أوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رَأْسِ شَعَفَةٍ مِن هذِه الشَّعَفِ، أوْ بَطْنِ وادٍ مِن هذِه الأوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، ويُؤْتي الزَّكاةَ، ويَعْبُدُ رَبَّهُ حتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، ليسَ مِنَ النَّاسِ إلَّا في خَيْرٍ ".**

١- هذا في حق عوام الناس، أما بالنسبة للعالم المُطاع فإنه يمكث في الناس ليبصرهم بالصواب، ويصبر على أذاهم.
٢- كانَ في إبِلِه يَرعاها في الباديةِ في مَوضعٍ يُسمَّى العَقيقَ على بُعدِ عشَرةِ أميالٍ مِن المدينةِ.
٣- التَّقيُّ: هُو الآتي بما يَجبُ عَليه ويَمتثِلُ المأموراتِ.
٤- الغَنيُّ: هو غَنيُّ النَّفْسِ؛ فصاحِبُ القَناعةِ رَضِي بما قَسَم اللهُ تَعالَى له ولا يَطلُبُ المُلكَ والإمارةَ، هُو الغَنيُّ ولَيس كَثيرَ المالِ، وهذا هو الغنيُّ المحبوبُ.
٥- الخَفيُّ: هو الخامِلُ المُنقطِعُ إلى العِبادةِ والاشتِغالِ بأمورِ نَفسِه، ولا يُريدُ العُلوَّ ولا الظُّهورَ في مَناصبِ الدُّنيا، فيَبْقى خامِلًا، والإشارةُ بالخَفيِّ إلى خُمولِ الذِّكْرِ والشُّهرةِ عندَ النَّاسِ، فالغالِبُ عَلى الخاملِ السَّلامَةُ.

وقوله ﷺ:" **يَطِيرُ على مَتْنِه**"، أي: يُسرِعُ راكبًا على ظَهرِه للجهادِ في سَبيلِ اللهِ، "**كُلَّمَا سمِعَ هَيْعَةً**"، أي: صَيْحَةً وصوتًا، أو سَمِعَ "**فَزْعَةً**"، أي: استِغاثَة؛" **طارَ عليه**"، أي: أسرَعَ راكبًا على ظَهْرِ فَرَسِه طائرًا إلى مَصدرِ الصَّوتِ والاستغاثةِ، وهذا يدُلُّ على أنَّه في حالِ تَأهُّبٍ دائمٍ، وعلى شِدَّةِ اهتمامِه بما هو فيه مِن المجاهَدةِ في سَبيلِ اللهِ تعالَى،" **يَبتغِي القَتْلَ والموتَ مَظَانَّه**"، أي: لا يُبالِي ولا يَحْتَرِزُ منه، بل يَطلُبُه في مَواطنِه الَّتي يُرْجى فيها؛ لشِدَّةِ رَغبتِه في الشَّهادةِ.

والنَّوعُ الثَّاني الَّذي هو مِن أفضَلِ ما يَطلُبُ به الرِّجالُ المعايشَ: هو ما يَفعَلُه رَجُلٌ في" **غُنَيْمَةٍ**" تَصغيرُ غَنَمٍ، والمعنى: يَرْعى بقَطيعٍ صَغيرٍ مِن الغنَمِ، وهذا إشارةٌ لضَعفِ رَغبتِه في الدُّنيا، فعِنده مِن الغنَمِ ما يُقيمُ به عَيْشَه وحَياتَه،" **في رأسِ شَعَفَةٍ مِن هذه الشَّعَفِ**" وهو رأسِ الجَبَلِ، يعني أنَّه يُقيمُ في أعالي الجبالِ، أو يُقيمُ في بُطونِ الأَوْدِيَةِ، وهذا كلُّه وصْفٌ لقَناعةِ هذا الرَّجلِ؛ فإنَّه قَصَد بسَكَنِه هذا الابتعادَ والاعتزالَ عن النَّاسِ، مع اشتغالِه بعِبادةِ ربِّه سُبحانه،" **فيُقِيمُ الصَّلاةَ**" في مَواقيتِها،" **ويُؤتِي الزَّكاةَ**" مُستحِقِّيها إنْ كان ممَّن مَلَك نِصابَها واستُحقَّتْ عليه بشُروطِها،" **ويَعبُدُ ربَّه حتَّى يأتِيَه اليَقِينُ**" وهو الموتُ؛ سُمِّيَ بذلكَ لأنَّه لا شَكَّ في تحقيقِ وُقوعِه. ثمَّ أخبَرَ ﷺ أنَّه ليْس لهذا الرَّجلِ اجتماعٌ مع النَّاسِ، ولا اختلاطَ بهم إلَّا فيما كان خَيرًا، كالجماعةِ، والجُمعةِ، والعِيدينِ، وصَلاةِ الجنازةِ، وعِيادةِ المريضِ، وتَشييعِ الجنازةِ، ونحْوِ ذلك مِن أنواعِ الخيراتِ، والحاصلُ أنَّه مُعتزِلٌ عن النَّاسِ إلَّا فيما هو خَيرٌ مَحْضٌ، وهذه العُزْلةُ المذكورةُ في هذا الحديثِ لَيْست رَهبانيَّةً مِثلَ رَهبانيَّةِ النَّصارى المذمومةِ في القرآنِ؛ لأنَّ الرَّهبانيَّةَ النَّصرانيَّةَ تَتضمَّنُ إهمالَ الحقوقِ الواجبةِ للنَّفْسِ والأهلِ والعبادِ، بخلافِ هذه العُزلةِ؛ لأنَّ المقصودَ منها تَرْكُ الاختلاطِ مع النَّاسِ عندَ وُقوعِ الفِتنةِ والشَّرِّ، مع أداءِ حُقوقِ النَّفْسِ والأهلِ والنَّاسِ. (الدرر السنية)

أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" ألَا أخبرُكم بخيرِ النَّاسِ؟ رجلٌ مُمسكٌ بعِنانِ فرسِه في سبيلِ اللهِ. ألَا أخبرُكم بالذي يَتلُوه؟ رجلٌ مُعتزلٌ في غُنَيمةٍ لهُ يُؤدِّي حقَّ اللهِ فيهَا، ألَا أخبرُكم بشَرِّ النَّاسِ؟ رجلٌ يُسألُ باللهِ ولا يُعطِي "**.

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧٣٧) (صحيح الجامع: ٢٦٠١)

وأخرج النسائي والترمذي من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" ألا أُخبرُكُم بخيرِ النَّاسِ منزلًا؟ قُلنا: بلى يا رسولَ اللَّهِ قالَ: رجلٌ آخذٌ برأسِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ حتَّى يموتَ، أو يُقتَلَ، وأخبرُكُم بالَّذي يليهِ؟ قلنا: نعَم يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: رجلٌ معتزلٌ في شِعبٍ يقيمُ الصَّلاةَ، ويؤتي الزَّكاةَ، ويعتزِلُ شرورَ النَّاسِ، وأخبرُكُم بشرِّ النَّاسِ؟ قُلنا: نعَم يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: الَّذي يُسأَلُ باللَّهِ عزَّ وجلَّ، ولا يُعطي بِهِ "**. (صحيح النسائي: ٢٥٦٨)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: " قالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ:" مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ اللهِ"، قالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قالَ:" ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِن شَرِّهِ ".

وأخرج الترمذي والنسائي والحاكم من حديث ابن عباس –رضِي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " خَيْرُ الناسِ في الفِتَنِ رجلٌ آخِذٌ بِعِنانِ فَرَسِه– أوْ قال: بِرَسَنِ فَرَسِه– خلفَ أَعْدَاءِ اللهِ يُخِيفُهُمْ و يُخِيفُونَهُ، أوْ رجلٌ مُعْتَزِلٌ في بادِيَتِه، يُؤَدِّي حقَّ اللهِ تَعالَى الذي عليه ".

(السلسلة الصحيحة: ٦٩٨) (صحيح الجامع: ٣٢٩٢)

وقولُه ﷺ:" **خَيرُ الناسِ في الفِتَنِ**"، أي: أفْضلُ الناسِ في أوقاتِ الفِتَنِ والبلاءِ، وانتشارِ القتلِ والهَرْجِ، "رجُلٌ آخِذٌ بعِنانِ فَرَسِه – أو قال: **بِرَسَنِ فَرَسِه**" أي: مُنطَلِقٌ بفَرسِه آخذٌ بلِجامِه، وهذا كِنايةٌ عن طَلَبِه الجِهادَ، وعن المُسارَعةِ فيه،" **خَلْفَ أعداءِ اللهِ، يُخيفُهم ويُخِيفُونه**" فيُجاهِدُ في سبيلِ اللهِ بقِتالِ أعدائِه لِنَشْرِ دِينِه، وهو على تلك الحالِ يُخِيفُ العدُوَّ تارةً، ويَخافُ منهم تارةً، ولكنه صابرٌ مُحتسِبٌ، وفي هذا بُعدٌ عن مَواطِنِ الفِتنِ التي تقَعُ بين المُسلِمين؛ ممَّا يُقلِّلُ حمِيَّتَها وثَورتَها، "**أو رجُلٌ مُعتزِلٌ في بادِيَتِه**"، أي: مُعتزِلٌ للنَّاسِ في الصَّحراءِ،" **يُؤدِّي حقَّ اللهِ تعالى الذي عليه**". مِن العِبادةِ والذِّكرِ والطاعاتِ، وفي روايةِ التِّرمذيِّ:" **في غَنَمِه**" تَكْفيهِ حاجتَه، ولا تَشغَلُه عمَّا هو فيه،" **يُؤدِّي حقَّ اللهِ فيها**"، أي: يُخرِجُ زَكاةَ غنَمِه وصدقَتَها. (الدرر السنية)

أخرج الإمام أحمد والطبراني من حديث معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " خمسٌ مَن فعل واحدةً منهنَّ كان ضامنًا على اللهِ: مَن عاد مريضًا، أو خرَج غازيًا، أو دخلَ على إمامِه يريدُ تَعزيرَه و توقيرَه، أو قعد في بيتِه فسلِمَ النَّاسُ منهُ، وسَلِمَ من النَّاسِ ". (صحيح الجامع: ٣٢٥٣)

أخرج الطبراني في" المعجم الأوسط" من حديث عائشة –رضِي الله عنها– قال: قال رسول الله ﷺ: " خصالٌ ستٌّ؛ ما من مسلمٍ يموت في واحدةٍ منهنَّ؛ إلا كانت ضامنًا على الله أن يُدخلَه الجنَّةَ: رجلٌ خرج مجاهدًا، فإن مات في وجهِه؛ كان ضامنًا على اللهِ، ورجلٌ تبع جنازةً، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على اللهِ، ورجل عاد مريضًا، فإن مات في وجهه؛ كان ضامنًا على الله، ورجلٌ توضأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم خرج إلى المسجدِ لصلاتِه، فإن مات في وجهِه؛ كان ضامنًا على الله، ورجلٌ أتى إمامًا، لا يأتيه إلا ليُعَزِّرَه ويُوَقِّرَه، فإن مات في وجهِه ذلك؛ كان ضامنًا على الله، ورجلٌ في بيته؛ لا يغتابُ مسلمًا، ولا يجرُّ إليهم سخطًا ولا نِقمةً،، فإن مات؛ كان ضامنًا على اللهِ ". (السلسلة الصحيحة: ٣٣٨٤)

أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وابن حبان من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:
" **مَن جاهد في سَبيلِ اللهِ كان ضامنًا علَى اللهِ، ومن عادَ مريضًا كان ضامنًا علَى اللهِ، ورجلٌ دخل بيتَه بسلامٍ، فهوَ ضامنٌ على اللهِ. ومن دخلَ على إمامٍ يُعزِّرُه كان ضامنًا على اللهِ، ومن جلَس في بيتِه لَم يَغتَبْ إنسانًا كان ضامنًا على اللهِ** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ١٣١٧)

وأخرج الترمذي من حديث عقبة بن عامر ﷺ قال: " **قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ما النَّجاةُ؟ قال: أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ** ". (صحيح الترمذي: ٢٤٠٦)

وأخرج الطبراني في" المعجم الصغير" وأبو نعيم في الحلية من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **طُوبى لمن ملَك لسانَه، ووسِعَه بيتُه، وبكى على خطيئتِه** ".
(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٧٤٠)(صحيح الجامع:٣٩٢٩)

أخرج أبو داود من حديث المقداد بن عمرو بن الأسود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ إنَّ السَّعيدَ لمن جُنِّبَ الفتنَ ولمنِ ابتُلِيَ فصبرَ فواهًا** ".
(صحيح أبي داود: ٤٢٦٣) (صحيح الجامع:١٦٣٧)

وقولُه ﷺ: " **مَن جُنِّبَ الفِتَنَ**"، أي: أُبعِدَ عن الفتَنِ؛ ككثرَةِ القتْلِ، وغيرِه، " **إنَّ السَّعيدَ لَمَن جنِّبَ الفتَنَ، إنَّ السَّعيدَ لَمن جنِّبَ الفتَنَ**"؛ كرَّرَها للتَّأكيدِ على هذا الأمْرِ، وقيل: كلُّ قطعَةٍ منها مرحلَةٌ من الفتَنِ يُثني على مَن جُنِّبَها، " **ولَمَن ابتُليَ**"، أي: امتُحِنَ وعاصَرَ شيئًا من تلك الفتَنِ، " **فصبَرَ**"، أي: صبَرَ عليها، فلَم يَفتتِنْ ولم يقَعْ في شَرِّها ولمْ يشارِكْ فيها، وتحمَّلَ الظُّلْمَ الواقِعَ عليهِ" **فَواهًا**"، أي: ما أحسَنَ مَن صبَرَ عليها، **وقيل**: يَعني التَّحسُّرَ على مَن باشرَها، وابتُلِيَ بها. (الدرر السنية)

٨- فضل الهجرة:

أخرج النسائي من حديث أبي فاطمة اللَّيثيّ[١] قال: **يا رسولَ اللهِ! حدِّثني بعملٍ أستقيم عليه وأعملُه! قال له رسولُ اللهِ ﷺ: " عليك بالهجرةِ، فإنه لا مثلَ لها** ". (صحيح النسائي: ٤١٧٨)

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ أبو فاطمةَ اللَّيثيُّ ﷺ أنَّه قال: " **يا رسولَ اللهِ! حدِّثْني بعَملٍ أَستقيمُ عليه وأعمَلُه**"، أي: أثبُتُ عليه بالعمَلِ والمداومةِ ويَنفَعُني في دُنياي وآخِرَتي، فقال له رسولُ اللهِ ﷺ:" **عَليك بالهِجرةِ**"، أي: التَّحوُّلِ مِن دارِ الكُفرِ إلى دارِ الإيمانِ؛" **فإنَّه لا مِثلَ لها**"، أي: لا خيرَ ولا أفضلَ في الأجرِ منها، **قيل**: وكان ذلك يومَ أنْ كانت الهجرةُ واجبةً، وقد كانتِ الهجرةُ إلى المدينةِ النَّبويَّةِ فرضًا في أوَّلِ الأمرِ، ثمَّ صارت مندوبةً، وقال النَّبيُّ ﷺ بعدَ فتْحِ مكَّةَ:" **لا هِجرةَ بعدَ الفتحِ، ولكِنْ جهادٌ ونيَّةٌ**"؛ فبَقِي عمَلُ الخيرِ في كلِّ مكانٍ؛ فهو الَّذي يَنفَعُ العبدَ مع إخلاصِ النِّيَّةِ في الأعمالِ للهِ ربِّ العالَمين، وهَجرِ ما نهى اللهُ عنه.

١ـ أبو فاطمة الليثي أو الدَّوْسِيّ: واسمه: أُنَيْس، وقيل: عبدُ بنُ أُنيس. صحابي جليل سكن الشام ومصر ﷺ.

٩- فضل العمل الصالح عند فساد الزمان:

أخرج الإمام مسلم من حديث معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ"

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ العِبادةَ في الهَرْجِ – وهو وقتُ الفِتَنِ واختِلاطِ الأُمورِ وتَخبُّطِ النَّاسِ في فَسادِ الدُّنيا وانهماكِهم فيه– كهِجرةٍ إليه ﷺ، أي: كثَوابِ الهِجرةِ مِن مكَّةَ إلى المدينةِ يوْمَ أنْ كانتِ الهجرةُ واجبةً، وسَببُ كَثْرةِ فَضلِ العبادةِ في هذا الوقتِ: أنَّ النَّاسَ يَغفُلون عنِ العِبادةِ في تلكَ الأوقاتِ ويَشتَغلونَ عنها ولا يَتفرَّغُ لَها إلَّا قَليلون، ولأنَّ الهِجرةَ تَبْتني على تَركِ الوطنِ والدَّارِ ورَغائبِها للهِ، والعبادةُ في الهرْجِ أيضًا تَبْتَني على تَركِ رَغائبِ الدُّنيا للهِ، وكما أنَّ المهاجرينَ في أوَّلِ الأمرِ كانوا قَليلين؛ لعدَمِ تَمكُّنِ أكثرِ النَّاسِ مِن ذلكَ، فهَكذا العابِدون في الهرْجِ قَليلون. (الدرر السنية)

وأخرج الترمذي من حديث أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ فَقُلْتُ لَهُ: كَيْفَ تَصْنَعُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؟ قَالَ: أَيَّةُ آيَةٍ؟ قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:" بَلْ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ الْعَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ، فِيهِنَّ مِثْلُ الْقَبْضِ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: وَزَادَنِي غَيْرُ عُتْبَةَ؛ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَّا أَوْ مِنْهُمْ؟ قَالَ:" بَلْ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ ".

١٠- فضل العمل الصالح في وقت الغفلة:

أ- العمل الصالح في وقت الغفلة أعظم للأجر:

فالعبادة في وقت غفلة الناس أشق على النفس، وأعظم الأعمال وأفضلها أشقها على النفس، وسبب ذلك أن النفوس تتأسى بمن حولها فإذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات، وإذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها ". (لطائف المعارف ص:١٨٣)

ولهذا المعنى قال النبي ﷺ عن الذين يعيشون في زمن الغربة الثاني: " للعامل منهم أجر خمسين منكم، إنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون ". (رواه الترمذي وأبو داود من حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ)

- *وعند الطبراني في المعجم الكبير بسند صحيح من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال:* " **إن من ورائكم زمان صبر، للمتمسك فيه أجر خمسين شهيدًا منكم** ".

- *وفي رواية:* " **للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عملكم، قيل: يا رسول الله! أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: بل أجر خمسين منكم** ".

فتضاعف أجر الذين يتفردون بطاعة الله في وقت لا يجدون فيه معين، وتكثر فيه الغفلة، ويعم البلاء، ويكثر الفساد، ***فهؤلاء الغرباء الذين دعا لهم النبي ﷺ فقال كما عند الإمام مسلم وأحمد:*** " **بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**". -*وفي رواية:* " **قيل: ومن الغرباء؟ قال:" الذين يصلحون إذا فسد الناس**". - *وفي رواية:* " **يصلحون ما أفسد الناس** ". (السلسلة الصحيحة: ١٢٧٣)

وفي صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **العبادة في الهرج كالهجرة إليّ**".

- *وعند أحمد بلفظ:* " **العبادة في الفتنة كالهجرة إليّ** ".

وسبب ذلك أن الناس في زمن الفتن يتبعون أهواءهم، ولا يرجعون إلى دين، فيكون حالهم شبيهًا بحال الجاهلية، فإذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه، ويعبد ربه، ويتبع مراضيه، ويجتنب مساخطه، كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية إلى رسول الله ﷺ مؤمنًا به متبعًا لأوامره، مجتنبًا لنواهيه".

(لطائف المعارف: ص ١٨٤)

وقال النووي-رحمه الله-في" شرحه على مسلم:١٨/٨٨": " المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب فضل العبادة فيه؛ أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد ". اهـ

ب- ومن فوائد العمل وقت غفلة الناس أنه يدفع البلاء:

يقول ابن رجب -رحمه الله- في" لطائف المعارف": " إن المنفرد بالطاعة بين أهل المعاصي والغفلة قد يُدفع به البلاء عن الناس كلهم، فكأنه (أي المنفرد بالطاعة في وقت الغفلة) يحميهم ويدافع عنهم.

وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة: ٢٥١)

أنه يدخل فيها دفعه عن العصاة بأهل الطاعة.

وقال ابن عباس-رضي الله عنهما-: " **يدفع الله بمَن يُصلّي عمَن لا يُصلّي** ".

وهناك جملة من الآثار تشهد لهذا المعنى ذكرها ابن رجب-رحمه الله- في" لطائف المعارف" ص:٨٤ لكن لا تخلو من مقال منها:

ما جاء في الأثر: " **إن الله يدفع بالرجل الصالح عن أهله، وولده، وذريته، ومن حوله** ".

وفي بعض الآثار يقول الله ﷻ: " أحب العباد إليَّ المتحابون بجلالي، المشَّاءون في الأرض بالنصيحة، الماشون على أقدامهم للجُمُعات، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، فإذا أردت إنزال عذاب بأهل الأرض، فنظرت إليهم صرفت العذاب عن الناس ".

وأخرج ابن أبي حاتم والبيهقي بسند فيه مقال عن ابن عمر –رضي الله عنهما– أن النبي ﷺ قال: " ذاكر الله في الغافلين كالذي يُقاتل عن الفارِّين، ومَن يحج عمن لا يحج، ومَن يُزكِّي عمَّن لا يُزكِّي".

وأخرج الطبراني في الكبير والبيهقي والبزار بسند فيه مقال عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " مهلًا عن الله مهلًا فلولا عباد ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع؛ لصب عليكم العذاب صبًا ".

وقال بعضهم:

لـولا عِبـاد للإلـه رُكَّـع وصبيـة من اليتامى رُضَّـع
ومهملات في الفلاةِ رُتَّع صب عليكم العذاب الموجع

وإن كانت الأحاديث السابقة ضعيفة إلا أن المعنى صحيح ويشهد لها أحاديث صحيحة منها:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " لقد هممت أن آمر رجلًا يُصلي بالناس، ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها –أي عن صلاة الجماعة–، فآمر بهم فيحرقوا عليهم بيوتهم ". *– زاد الإمام أحمد:* " لولا ما في البيوت من النساء والذرية ".

فالنساء والأطفال كانوا سببًا في دفع العذاب عن هؤلاء الرجال.

وأخرج البخاري ومسلم من حديث **جابر** ﷺ *قال:* بيْنَما نَحْنُ نُصَلِّي مع النبيِّ ﷺ إذْ أقْبَلَتْ عِيرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا، فَالْتَفَتُوا إلَيْهَا حتَّى ما بَقِيَ مع النبيِّ ﷺ إلَّا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَنَزَلَتْ هذِه الآيَةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة: ١١)

– ورواه ابن حبان بلفظ: " بيْنا النَّبيُّ ﷺ يخطُبُ يومَ الجُمعةِ وقدِمَتْ عِيرٌ المدينةَ فابتدَرها أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى لم يَبْقَ معه ﷺ إلَّا اثنا عشَرَ رجُلًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ في الاثني عشَرَ الَّذينَ ثبَتوا مع رسولِ اللهِ ﷺ[ومنهم] أبو بكرٍ وعُمَرُ:" والَّذي نفسي بيدِه لو تتابَعْتُم حتَّى لا يبقى منكم أحَدٌ لسال لكم الوادي نارًا ". فنزَلَتْ هذه الآيةُ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ (الجمعة:١١)

فدفع الله العذاب بهؤلاء الذين جلسوا مع النبي ﷺ. (صحيح ابن حبان: ٦٨٧٧)

ورأى أحد السلف في منامه من ينشد ويقول:

لـولا الــذين لهـم ورد يصلـونــا وآخـرون لهـم سـرد يصومـونـا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرًا لأنكم قــوم ســوءٍ ما تطيعـونا

ويشهد لهذا المعنى أيضًا ما أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال:
" أصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ".

ومعنى الحديث: أن أصحاب النبي ﷺ الأمان للأمة، ومن بعدهم كذلك، كلما كان فيهم صالح من الصالحين إذ بالله تعالى يجعله أمنة لهم وحفظًا لهم بما يقدم لله تعالى من العمل الصالح، من ذكر ودعاء وصيام وقيام وصلاة ونصح للمسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي في مصالح المسلمين، والقيام على ما يصلح شئونهم، والدعوة إلى الله... وغير ذلك مما يكون سببًا في دفع البلاء عن المؤمنين، **وصدق ربنا تعالى حيث قال:** ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥١)

جـ - العمل الصالح وقت غفلة الناس أمر محبوبٌ لله تعالى، لذا حثَّ عليه النبي ﷺ.

فاستحب النبي ﷺ القيام وسط الليل وقت غفلة الناس.

فقد أخرج الترمذي عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: **" أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ[1]، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ ".**
(صحيح الجامع:١١٧٣)

فهذا الوقت هو وقت نوم الناس وغفلتهم، فإذا قام المؤمن لرب العالمين ليفوز بجنة النعيم، فلا يستوي هو ومن آثر الوسادة على العبادة، وكما قيل:" **من أراد الراحة، تَرَكَ الراحة** ".

ولذلك جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد عن أبي ذرﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاثة يحبهم الله: قوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعْدَلُ به، نزلوا فوضعوا رءوسهم، فقام أحدهم يتملقني[2] ويتلو آياتي... ".** الحديث

ومعنى الحديث: أن هؤلاء القوم كان النوم لهم لا يعادله شيء فهو أحب شيء إليهم في هذا الوقت فناموا، لكن قام أحدهم حال تعبه، وحال كون النوم أحب إليه مما سواه، قام يدعو ربه ويتلو آياته ويتضرع إليه، فهذا هو نعيمه الذي لا يفنى، وقرة عينيه التي لا تنقضي، وهي سعادته العظمى وغايته المنشودة.

– ***وفي رواية عند الطبراني من حديث أبي الدرداءﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" ثلاثةٌ يحبُّهمُ اللَّهُ ويَضحَكُ لهم ويستبشِرُ بِهِمُ: الَّذي إذا انكشَفَت فئةٌ قاتلَ وراءَها بنفسِهِ للَّهِ ﷻ فإمَّا أن يُقتَلَ وإمَّا أن ينصرَهُ اللَّهُ ﷻ ويَكْفيهُ، ويقولُ: انظُروا إلى عبدي هذا كيفَ صبرَ لي بنفسِهِ!؟ والَّذي لَهُ امرأةٌ حسنةٌ وفراشٌ ليِّنٌ حسنٌ فيقومُ منَ اللَّيلِ فيقولُ يذرُ شَهْوتَهُ ويذكرُني ولو شاءَ رقدَ، والَّذي إذا كانَ في سفرٍ وَكانَ معَهُ رَكْبٌ فسَهِروا ثمَّ هجَعوا فقامَ منَ السَّحرِ في ضرَّاءَ وسرَّاءَ ".**

١- جوف الليل: أي نصفه، وجوف الليل الآخر: أي نصف نصفه الثاني؛ أي سدسه الخامس وهو وقت النزول الإلهي كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْأَلُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَسْتَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟
٢- يتملقني: يتضرع إليَّ بالثناء والدعاء.

- *وفي رواية:* " ورجُلٌ كان مع قومٍ، فأطالوا السُّرى حتَّى أَعجَبهم أنْ يَمَسُّوا الأرضَ فنزَلوا، فتَنحَّى، فصلَّى حتَّى أيقظَ أصحابَهُ للرحيلِ.. ".

وفي يوم أخَّر النبي ﷺ العشاء إلى ثلث الليل فقال كما عند البخاري: " ما ينتظرها – يعني العشاء – أحد من أهل الأرض غيركم ".

وكأنه ﷺ يقول لصحابته: هذه الصلاة التي تُصلُّون إنما أنتم الذين تصلونها في الدنيا كلها، حال غفلة الناس عن الله تعالى.

ففي الوقت الذي يغفل فيه الناس، عليك أخي الحبيب أن تكون أنت المقبل حال فرار الناس، والمتصدق حال بخلهم وإحجامهم وحرصهم... وأن تكون القائم حال نومهم وغفلتهم... وتكون الذاكر لله تعالى حين إعراضهم، فإن هذا سبب لمحبة الله تعالى لك.

ومما يدل على هذا أيضًا ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقَالُ له: جُمْدَانُ، فَقالَ: سِيرُوا، هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ ".

قال المناوي –رحمه الله– كما في" فيض القدير: ٤/١٢٢": " المفردون: أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتل إلى الله تعالى ". اهـ

ولذلك ذَكَر النَّبيُّ ﷺ هذا القولَ عَقِيبَ قولِه: "هذا جُمْدانُ"؛ لأنَّ جُمْدانَ جَبلٌ مُنفرِدٌ بنَفسِه في مَكانِه وليْس بحِذائِه جَبلٌ مِثلُه، فكأنَّه تَفرَّدَ هناك، فذَكَّرَه بهؤلاءِ المُفرِّدينَ. وهم الذين ذكروا الله وقد غفل غيرهم فكان لهم السبق يوم القيامة. اللهم اجعلنا منهم.

١١- فضل من اعتزل الظلمة فلم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظلمهم:

أخرج الإمام الترمذي من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: " خرج إلينا رسولُ اللهِ ﷺ ونحن تسعةٌ[١] خمسةٌ وأربعةُ أحدِ العددَين من العرب والآخر من العجمِ فقال اسمعوا هل سمعتُم أنه سيكون بعدي أمراءُ فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبِهم وأعانهم على ظُلمِهم فليس مني ولستُ منه[٢] وليس بواردٍ عليَّ الحوضَ ومن لم يدخلْ عليهم ولم يعنْهم على ظلمِهم ولم يصدِّقْهم بكذبهم فهو مني وأنا منه، وهو واردٌ عليَّ الحوضَ ".

١- ونحنُ تِسعةٌ: أي تِسْعةُ رِجالٍ، "خمسةٌ وأربعةٌ"، بَيانٌ وتفسيرٌ للتِّسعةِ، وإنَّما فُسِّر لِتَعيينِ المرادِ والتَّقسيمِ بينَ الطَّائفتَين، "أحَدُ العدَدَينِ" الخمسةُ أو الأربعةُ، "مِن العرَبِ"، أي: مِن قَبائلِ العَربِ، "والآخَرُ"، أي: والعددُ الآخَرُ، "مِن العجَمِ"، وليس مِن العرَبِ، أي: خمسةٌ مِن العرَبِ وأربعةٌ مِن العجمِ، أو أربعةٌ مِن العربِ وخمسةٌ مِن العجمِ

٢- فليس منِّي ولستُ منه"، أي: بيني وبينَهم بَراءةٌ ونقضُ ذِمَّةٍ؛ فالنَّبيُّ صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم يَبرَأُ مِنه ومِن فِعْلِه، وقيل: هو كِنايةٌ عن قَطعِ الصِّلةِ بينَ ذلك الرَّجلِ وبينَه صلَّى اللهُ علَيه وسلَّم، أي: ليس بِتابعٍ لي، ويكونُ بعيدًا عنِّي.

وأخرج الإمام أحمد والبزار أن النبيَّ ﷺ قال لكعبِ بنِ عُجرةَ ﷺ: **أعاذك اللهُ من إمارةِ السفهاءِ، قال: وما إمارةُ السفهاءِ؟ قال:" أمراءُ يكونون بعدي لا يهتدون بهدي، ولا يستنون بسنتي، فمن صدقهم بكذبِهم وأعانهم على ظلمِهم فأولئك ليسوا مني ولستُ منهم، ولا يردونَ عليَّ حوضي، ومن لم يصدقْهم بكذبِهم ولم يعنْهم على ظلمِهم فأولئك مني وأنا منهم، وسيردون عليَّ حوضي. يا كعبُ بنَ عجرةَ! الصيامُ جنةٌ، والصدقةُ تطفئُ الخطيئةَ، والصلاةُ قربانٌ–أو قال: برهانٌ–، يا كعبُ بنَ عُجرةَ! الناسُ غاديان: فمبتاعٌ نفسَه فمعتقُها، وبائعٌ نفسَه فموبِقُها** ". (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٤٢)

وقولُه ﷺ:" **أعاذك اللهُ من إمارةِ السفهاءِ**" والسُّفهاءُ: الجُهَّالُ عِلْمًا وعَمَلًا، وخِفافُ العُقولِ،" **قال: وما إمارةُ السُّفهاءِ؟**" أي: ما أوصافُهم وعلامَتُهم؟ قال النَّبيُّ ﷺ:" **أُمراءُ يكونون بَعْدي، لا يَهْتَدون بهَدْيِي، ولا يَستنُّون بسُنَّتي**"، أي: يَترُكون سُنَّتي وطريقتي ويَهجُرونَها، فمَن دخَلَ على هَؤلاءِ الأُمَراءِ، "فمَن صدَّقهم بكذِبِهم"، فيما يَكْذِبون فيه، "وأعانَهم على ظُلْمِهم" بأيِّ وَسيلةٍ كانتْ؛ سَواءٌ بالقولِ أو الفعلِ أو غيرِ ذلك،" **فأولئك لَيسوا منِّي ولسْتُ منهم**"، أي: بيْني وبينَهم بَراءةٌ ونقْضُ ذِمَّةٍ؛ فالنَّبيُّ ﷺ يَبرأُ مِنهم ومِن فِعْلِهم. وقيل: هو كِنايةٌ عن قَطعِ الصِّلةِ بيْن ذلك الرَّجلِ وبيْنه ﷺ، أي: ليس بِتابعٍ لي، ويكونُ بَعيدًا عنِّي،" **ولا يَرِدُون**"، أي: ولنْ يَصِلوا هؤلاء الَّذين يُصدِّقُون الأُمراءَ في كَذبِهم، ويُعينُونهم على ظُلمِهم، "عليَّ حوضي"، أي: لنْ يأتُوا النَّبيَّ ﷺ وهو على الحوضِ يومَ القيامةِ ويُمْنَعوا منه، وهو الكوثرُ الَّذي أعطاهُ اللهُ عزَّ وجلَّ لِنَبيِّه ﷺ يومَ القِيامةِ، ثمَّ قال ﷺ:" **ومَن لم يُصدِّقْهم بكذِبِهم**" الَّذي سيَكذِبون فيه،" **فأولئك منِّي**"، أي: مِن أهلِ سُنَّتي ومَحبَّتي وعلى طَريقتي،" **وأنا منهم**"، أي: مِن مَحبَّتِهم، والشَّفاعةِ لهم،" **وسيَرِدُون عليَّ حَوضي**"، أي: سيأتون إلى النَّبيِّ ﷺ، ويَشرَبُون مِن حَوضِه يومَ القِيامةِ شَربةً لا يَظمَؤونَ بعدَها أبدًا،" **يا كَعبُ بنَ عُجرةَ، الصِّيامُ جُنَّةٌ**"، أي: وِقايةٌ وحِمايةٌ مِن المعاصي،" **والصَّدقةُ تُطفِئُ الخَطيئةَ**"، أي: تُكفِّرُها،" **والصَّلاةُ قُربانٌ– أو قال: بُرهانٌ–**"، أي: حُجَّةٌ ودَليلٌ قويٌّ على إيمانِ صاحِبِها، وحُبِّه لِربِّه ورَغبتِه في ثَوابِه،" **يا كَعبُ بنَ عُجْرةَ، النَّاسُ غاديانِ**"، والغادي: هو كلُّ مَن يُبكِّرُ ساعيًا في تَحصيلِ أغراضِه،" **فمُبْتاعٌ نفْسَه**"، أي: يَشْتري نفْسَه مِن ربِّها؛ ببَذْلِها فيما يَرضاهُ،" **فمُعتِقُها**" مِن أليمِ العذابِ، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ**﴾ (البقرة: ٢٠٧)،" **وبائعٌ نفْسَه**"، أي: للشَّيطانِ؛ ببَذْلِها فيما يُؤذِيها بطاعةِ الشَّيطانِ ووَساوِسِه،" **فمُوبِقُها**"، أي: مُهْلِكُها بسببِ ما أوقَعَها فيه مِن استحقاقِ العذابِ. (الدرر السنية)

أخرج الإمام أحمد من حديث النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **ألا إنها ستكون بعدي أُمراءُ يَظلمون ويكذبون، فمن صدَّقهم بكذبِهم، ومالأَهم على ظلمِهم، فليس منِّي، ولا أنا منه، ومن لم يُصدِّقْهم بكذِبهم، ولم يُمالِئْهم على ظُلمِهم؛ فهو مني وأنا منه** ". الحديث. (صحيح الترغيب والترهيب: ٢٢٤٤)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **يكونُ أمراءُ تغشاهم غواشٍ أو حواشٍ من النَّاسِ يكذِبون ويظلِمون فمن دخل عليهم فصدَّقهم بكذبِهم وأعانهم على ظُلمِهم فليس منِّي ولستُ منه ومن لم يدخُلْ عليهم ولم يُصدِّقْهم بكذبِهم ولم يُعِنْهم على ظُلمِهم فهو منِّي وأنا منه** ".

١٢- فضل إقامة حدود الله في الأرض:

فقد أخرج ابن ماجه من حديث ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" إقامةُ حدٍّ من حدود الله؛ خيرٌ من مطر أربعين ليلة في بلاد الله ".** (صحيح الجامع: ١١٣٩)

– *ورواه النسائي بلفظ:* **" لحدٌّ يقام في الأرض؛ خيرٌ لأهل الأرض من أن يُمْطَروا ثلاثين صباحًا ".**

(صحيح الترغيب والترهيب: ٢٣٥٠)

١٣- فضل من جاهد نفسه وهواه:

أخرج ابن النجار وأبو نعيم والديلمي من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" أفضلُ الجهاد أن يُجاهِد الرَّجل نفسَه وهواه ".** (صحيح الجامع:١٠٩٩) (الصحيحة:١٤٩٦)

وأخرج محمد بن نصر المروزي في" تعظيم قدر الصلاة" والطبراني من حديث ابن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **" أفضلُ المؤمنينَ إسلامًا من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِه، وأفضلُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا؛ وأفضلُ المهاجرين من هجر ما نهى اللهُ تعالى عنه، وأفضلُ الجهادِ من جاهد نفسَه في ذاتِ اللهِ عزَّ و جلَّ ".** (صحيح الجامع: ١١٢٩)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ: **" أفْضَلُ المُؤْمِنين إسْلامًا مَنْ سَلِمَ المُسْلمون من لِسانِه ويَدِه"**، أي: المُسلِمُ الحقُّ هو مَن أمِنَ النَّاسُ مِن شَرِّ لِسانِه؛ بالقولِ الفاحشِ القبيحِ، ومِن شَرِّ يَدِه؛ بالبَطْشِ والأذى والسَّرقةِ وغيرِ ذلك، ويُمكِنُ أنْ يكونَ المعنى: أنَّ مِن علامةِ الإسلامِ أنْ يظهَرَ أثَرُه على المرءِ المُسلِمِ في عدَمِ أذيَّتِه للخَلْقِ بالقولِ أو اليدِ، **" وأفْضَلُ المُؤْمِنين إيمانًا أحْسَنُهُمْ خُلُقًا"**، أي: الَّذي يَمتَثِلُ بالخُلُقِ الحَسَنِ بين النَّاسِ جميعًا؛ فيُحَسِّنُ خُلُقَه مع اللهِ عزَّ وجَلَّ بالرِّضا بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، والصَّبرِ والحَمدِ عندَ البَلاءِ، والشُّكرِ عندَ النِّعمةِ، ويكونُ حَسَنَ الخلُقِ مع النَّاسِ؛ بكَفِّ الأذى عنهم، وطَلاقةِ الوَجهِ، ولِينِ الكَلامِ، والإحسانِ إليهم، وبَذْلِ العَطاءِ فيهم، مع الصَّبرِ على أذاهم؛ فكمالُ الإيمانِ يُوجِبُ حُسْنَ الخُلقِ، والإحسانَ إلى النَّاسِ كافَّةً، **" وأفْضَلُ المُهاجِرينَ مَنْ هَجَرَ ما نَهى اللّهُ تعالى عنه"**، أي: المُهاجِرُ الكاملُ هو مَن هَجَرَ ما نهى اللهُ عنه؛ فالمُهاجِرُ المَمدوحُ: هو الَّذي جَمَعَ إلى هِجرانِ وطَنِه وعَشيرتِه هِجرانَ ما حرَّمَ اللهُ تعالى عليه؛ فمُجرَّدُ هِجرةِ بلَدِ الشِّركِ مع الإصرارِ على المعاصي ليستْ بهِجرةٍ تامَّةٍ كاملةٍ؛ فالمُهاجرُ بحَقٍّ هو الَّذي لم يَقِفْ عندَ الهِجرةِ الظَّاهرةِ؛ مِن تَرْكِ دارِ الحربِ إلى دارِ الأمْنِ، بل هُو مَن هَجَرَ كلَّ ما نَهَى اللهُ عنه، **" وأفْضَلُ الجِهادِ مَنْ جاهَدَ نفْسَهُ في ذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ"**، أي: أعْظَمُ وأنْفَعُ الجِهادِ هو مُجاهدةُ النَّفْسِ والإقبالِ بها على اللهِ عزَّ وجلَّ في عمَلِ الصالحاتِ والكَفِّ عن السيِّئاتِ. (الدرر السنية)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان والطبراني في "المعجم الكبير" والحاكم عن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: " **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ؟ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ** ".

ورواه ابن ماجه مختصرا ولفظه: " **الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ**". (الصحيحة:٥٤٩).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله-: " وقول النبي ﷺ: "**الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ**": فَيُؤْمَرُ بِجِهَادِهَا، كَمَا يُؤْمَرُ بِجِهَادِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعَاصِي وَيَدْعُو إلَيْهَا، وَهُوَ إلَى جِهَادِ نَفْسِهِ أَحْوَجُ؛ فَإِنَّ هَذَا فَرْضُ عَيْنٍ، وَذَاكَ فَرْضُ كِفَايَةٍ، وَالصَّبْرُ فِي هَذَا مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ هَذَا الْجِهَادَ: حَقِيقَةُ ذَلِكَ الْجِهَادِ؛ فَمَنْ صَبَرَ عَلَيْهِ، صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الْجِهَادِ. كَمَا قَالَ:" **وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيِّئَاتِ**". ثُمَّ هَذَا (يعني: جهاد النفس): لَا يَكُونُ مَحْمُودًا فِيهِ إلَّا إذَا غَلَبَ (يعني: إذا غلب هوى نفسه)؛ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ: ﴿**فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾". اهـ (مجموع الفتاوى:١٠/ ٦٣٥).

وقال ابن القيم–رحمه الله– في" زاد المعاد:٣/ ٦": " كَانَ جِهَادُ النَّفْسِ مُقَدَّمًا عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ فِي الْخَارِجِ، وَأَصْلًا لَهُ، فَإِنَّهُ مَا لَمْ يُجَاهِدْ نَفْسَهُ أَوَّلًا، لِتَفْعَلَ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَتَتْرُكَ مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَيُحَارِبهَا فِي اللَّهِ: لَمْ يُمْكِنْهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ فِي الْخَارِجِ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُهُ جِهَادُ عَدُوِّهِ، وَالِانْتِصَافُ مِنْهُ: وَعَدُوُّهُ الَّذِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ قَاهِرٌ لَهُ، مُتَسَلِّطٌ عَلَيْهِ، لَمْ يُجَاهِدْهُ، وَلَمْ يُحَارِبْهُ فِي اللَّهِ؛ بَلْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ إِلَى عَدُوِّهِ، حَتّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى الْخُرُوجِ ". اهـ

وقال ابن رجب–رحمه الله– في" لطائف المعارف ص:٢٢٧": " النوع الثاني من الجهاد: جهاد النفس في طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" **المجاهد من جاهد نفسه في الله**"، وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو؟: " **ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها** ". وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله عمارة بيوته بالذكر والطاعة ". اهـ

وقال أيضا:" فهذا الجهاد يحتاجُ أيضًا إلى صبر، فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه: غلبه، وحصل له النصر والظفر، وملَكَ نفسه، فصار عزيزًا ملكًا، ومن جَزِعَ ولم يَصبر على مجاهدة ذلك، غُلِبَ وقُهِر وأُسر، وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا في يدي شيطانه وهواه، **كما قيل:**

إذا المَرءُ لم يَغلِبْ هواهُ أقامه ... بمنْزلـةٍ فيها العَـزيزُ ذَليـلُ ".

(جامع العلوم والحكم:٢/ ٥٨٤)

١٤- فضل من شكر الله عز وجل على نعمه:

والشكر: هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاة الله تعالى. وكفر النعمة ضد ذلك. **والشكر له فضائل عظيمة، ومنها:**

١- أن الله تعالى قرن ذِكْره بشكره وكلاهما المراد بالخلق والأمر، والصبر خادم لهما ووسيلة إليهما وعونًا عليهما، فقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: { من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم } وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصا، ثم من بعده أمر بالشكر عموما فقال: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾ أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقرارًا بالنعم، واعترافًا، وباللسان، ذكرًا وثناءً، وبالجوارح، طاعةً لله وانقيادًا لأمره، واجتنابًا لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه ".

٢- قرن سبحانه الشكر بالإيمان، وأنه لا غرض له في عذاب الخلق إذا شكروا وآمنوا به. قال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (النساء: ١٤٧)، أي أنكم وفيتم حقه وما خُلقتم من أجله؛ وهو الشكر والإيمان.

٣- أخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام: ٥٣).

٤- أنه قَسَمَ الناسَ إلى شكور وكفور، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهل الكفر، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهل الشكر، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان:٣).

٥ – أنه يبتلي عباده ليستخرج منهم الشكور، فقال تعالى على لسان سليمان –عليه السلام–:

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (النمل:٤٠).

٦– أن الله تعالى وعد الشاكرين بالزيادة، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧)

قال السعدي–رحمه الله– في تفسيره: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: أعلم ووعد، ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من نعمي ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ومن ذلك أن يزيل عنهم النعمة التي أنعم بها عليهم.

٧– أن الله سبحانه يرضى عمل الشاكرين ويرضى الشكر. فقال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ (الزمر:٧). وهذا كثير في القرآن يقارن الله بين الشكر والكفر وهما ضدان، كما قال تعالى: وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٤٣،١٤٤).

والشاكرون في هذه الآيات هم الذين ثبتوا على نعمة الإيمان ولم ينقلبوا على أعقابهم، إذًا من الناس من لا يصمد عند الابتلاء والمحنة فيكفر ولا يثبت، ومنهم من يُظهر لربه حقيقة ما في قلبه عند المحنة والابتلاء، فيتعالى لسانه بذكر ربه وحمده فيثبت ويشكر شكرًا عمليًّا بالقلب واللسان والجوارح.

٨– أن الله سبحانه علَّق المزيد بالشكر، والمزيد منه سبحانه لا نهاية له، كما لا نهاية لشكره سبحانه، ووقف الله سبحانه وتعالى كثيرًا من الجزاء على المشيئة:

– كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ (التوبة: ٢٨).

– وكقوله تعالى في الإجابة: ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾ (الأنعام: ٤١).

– وكقوله تعالى في المغفرة: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (آل عمران: ١٢٩).

– وكقوله تعالى في الرزق: ﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ﴾ (البقرة: ٢١٢).

– وكقوله تعالى في التوبة: ﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ﴾ (التوبة: ١٥).

أما الشكر فإنه أطلقه. **فقال تعالى:** ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٥)

وقال في الآية الأخرى: ﴿وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤) فلم يقل مثلًا:" سيجزي الشاكرين إن شاء" أو لم يقل: سيجزي إن شاء الشاكرين".

٩- ولما عرف إبليس اللعين قدر مقام الشكر، وأنه من أجل المقامات وأعلاها؛ جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال إبليس لعنه الله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧)

١٠- وصف الله تعالى الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(سبأ: ١٣)، **وذكر الإمام أحمد في كتابه الزهد:١/١١٤": أن عمر بن الخطاب ﷺ سمع رجلًا يقول: اللهم اجعلني من الأقلين، فقال: ما هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين: الله تعالى يقول:** ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (هود: ٤٠) **ويقول تعالى:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣) **ويقول تعالى:** ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ (سورة ص:٢٤) **فقال عمر ﷺ: صدقت ".**

وإذا كان الشكر من صفات الأنبياء المؤمنين فإنه ليس كذلك عند كل الناس فإن كثيرًا منهم يتمتعون بالنعم ولا يشكرون ربهم. فدل هذا على أن أهل الشكر من خواصّه سبحانه؛ **كما مر بنا في قوله تعالى:** ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ:١٣)

١١- ذكر الله تعالى نوحًا -عليه السلام- أول رسول بعثه إلى أهل الأرض وأثنى عليه ووصفه بأنه عبد شكور، فقال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ (الإسراء:٣) وتخصيص ذكر نوح -عليه السلام- هو إشارة إلى الاقتداء به، فكأنه يقول هذا أبوكم الثاني بعد آدم وحيث أن نوحًا كان عبدًا شكورًا، فاقتدوا به واشكروا لي واقتدوا به في شكره.. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (الصافات:٧٧) فأمر الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر فإنه كان عبدًا شكورًا.

١٢- أن الله تعالى أخبر أن من يعبده من شكره، وأن من لم يشكره فإنه ليس من أهل عبادته. فقال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

١٣- أمر الله عبده موسى -عليه السلام- أن يتلقى ما آتاه من النبوة والرسالة والتكليف بالشكر؛ فقال تعالى: ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٤٤).

١٤ - أن أول وصية أوصى الله بها الإنسان بعدما عقل أن يشكر لله ثم لوالديه فقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ (لقمان: ١٤).

١٥ - أخبر الله تعالى أن رضاه في شكره، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ (الزمر:٧).

١٦ - أخبر الله تعالى عن خليله إبراهيم وأثنى عليه لأنه دائمًا شاكرًا لنعم الله، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (النحل: ١٢١،١٢٠)، فمن صفات الأمة القدوة؛ الذي يقوم مقام جماعة كثيرة من الناس الذي يؤتم به في الخير، والذي يعدل مثاقيل من أهل الأرض أنه كان قانتا لله شاكرًا لأنعمه فجعل الشكر غاية خليله.

١٧- أخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية التي خلق عباده لأجلها، فقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل: ٧٨) **فهذه غاية الخلق.**

أما غاية الأمر فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٢٣) فكما قضى الله لهم بالنصر فليشكروه على هذه النعمة.

فالشاهد والخلاصة أن الشكر غاية الخلق وغاية الأمر، فَخَلَقَ لِيُشْكَر وأمر لِيُشْكَرَ، **قال تعالى:** ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: ١٥٢).

خير ما يكنز الناس قلبًا شاكرًا:

أخرج البيهقي في" شعب الإيمان" من حديث أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " قلبٌ شاكرٌ ولسانٌ ذاكرٌ وزوجةٌ صالحةٌ تُعينُك على أمرِ دنياك ودينِك خيرٌ ما اكْتَنَزَ الناسُ ".(صحيح الجامع: ٤٤٠٩)

أخرج الترمذي من حديث ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لمَّا نزلت وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ قالَ كنَّا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ في بعضِ أسفارِهِ فقالَ بعضُ أصحابِهِ أنزلَ في الذَّهبِ والفضَّةِ لو علمنا أيَّ المالِ خيرٌ فنتَّخذَهُ فقالَ أفضلُهُ لسانٌ ذاكرٌ وقلبٌ شاكرٌ وزوجةٌ مؤمنةٌ تعينُهُ على إيمانِه ".

(صحيح الترمذي: ٣٠٩٤)

النبي ﷺ والشكر:

قال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر: ٦٦)

قال السعدي: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ لما أخبر أن الجاهلين يأمرونه بالشرك، وأخبر عن شناعته، أمره بالإخلاص فقال: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ أي: أخلص له العبادة وحده لا شريك له، ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ للّه على توفيق اللّه تعالى،. فكما أنه تعالى يشكر على النعم الدنيوية، كصحة الجسم وعافيته، وحصول الرزق وغير ذلك،. كذلك يشكر ويثنى عليه بالنعم الدينية، كالتوفيق للإخلاص، والتقوى، بل نعم الدين، هي النعم على الحقيقة، وفي تدبر أنها من اللّه تعالى والشكر للّه عليها، سلامة من آفة العجب التي تعرض لكثير من العاملين، بسبب جهلهم، وإلا، فلو عرف العبد حقيقة الحال، لم يعجب بنعمة تستحق عليه زيادة الشكر.﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾

أخرج البخاري ومسلم من حديث المغيرة بن شعبة ﷺ قال: **" قَامَ النبيُّ ﷺ حتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فقِيلَ له: غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ، قالَ: أفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".**

– ***وفي رواية:*** **" إنْ كانَ النبيُّ ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حتَّى تَرِمَ قَدَمَاهُ –أوْ سَاقَاهُ– فيُقَالُ له فيَقولُ: أَفلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ".** (أخرجه البخاري)

أخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– قال: **" كان النَّبيُّ ﷺ يقولُ ربِّ أعنِّي ولا تعن عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسِّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لكَ شاكرًا[١]، لكَ ذاكرًا[٢]، لكَ راهبًا[٣]، لكَ مطواعًا[٤]، لكَ مخبتًا[٥]، إليكَ أوَّاهًا منيبًا[٦]، ربِّ تقبَّل توبتي[٧]، واغسل حوبتي[٨]، وأجب دعوتي[٩]، وثبِّت حجَّتي[١٠]، وسدِّد لساني[١١]، واهدِ قلبي[١٢]، واسلُلْ سَخِيمةَ صدري[١٣] ".**

١- ربِّ اجعَلْني لك شَكَّارًا: أي كثيرَ الشُّكرِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وفي القولِ والعمَلِ، وفي السِّرِّ، وفي العلَنِ، وفي تقديمِ الجارِّ والمجرورِ: "لك" دَلالةٌ على الاختِصاصِ، أي: أخُصُّك بالشُّكرِ؛ لأنَّك خالِقُ النِّعَمِ، ومُعْطيها، سأَل اللهَ التَّوفيقَ إلى الشُّكرِ؛ لأنَّ به تَدُومُ النِّعمُ.
٢- لك ذَكَّارًا: أي كثيرَ الذِّكرِ لك في كلِّ الأوقاتِ والأحوالِ، وفي سُؤالِه تعالى التَّوفيقَ إلى الذِّكرِ؛ لأنَّه هو أفضلُ الأعمالِ.
٣- لك رَهَّابًا: أي خائفًا منك في كلِّ أحوالي.
٤- لك مِطْواعًا: أي كثيرَ الطَّوْعِ، وهو الانقيادُ والامتِثالُ والطَّاعةُ لأوامِرِك، والبعدُ عن نَواهيك.
٥- لك مُخبِتًا: أي: كثيرَ الإخباتِ، وعلامَتُه: أن يَذِلَّ القلبُ بينَ يدَي اللهِ تعالى إجلالًا وتذلُّلًا، أي: لك خاشِعًا متواضِعًا خاضِعًا.
٦- إليك أوَّاهًا مُنيبًا: والأوَّاهُ هو: كثيرُ التَّضرُّعِ والدُّعاءِ والبُكاءِ للهِ عزَّ وجلَّ، والمنيبُ كثيرُ الرُّجوعِ إلى اللهِ مِن الذُّنوبِ والخَطايا.
٧- رَبِّ تقَبَّلْ توبَتي: أي: اجعَلْها صَحيحةً بشَرائِطِها وآدابِها، وتَقبَّلْها منِّي.
٨- واغسِلْ حَوبَتي: أيِ: امْسَحْ ذَنبي وإثمي، وذَكَر الغَسْلَ لِيُفيدَ إزالتَه بالكُلِّيَّةِ.
٩- وأجِبْ دَعْوتي: أي: استَجِبْ كلَّ دُعائي.
١٠- وثَبِّتْ حُجَّتي: أي ثَبِّتْ حُجَجي وبَراهيني في الدُّنيا على أعدائِك بالحجَّةِ الدَّامِغةِ، والدَّعوةِ، والأمرِ بالمعروفِ، والنَّهيِ عن المنكَرِ بالأدلَّةِ البيِّناتِ السَّاطعةِ، وثبِّتْ قَولي في الآخرةِ عِندَ سُؤالِ الملَكَينِ في القَبْرِ، والحُجَجُ هي البيِّناتُ والدَّلائلُ.
١١- وسَدِّدْ لساني: أي صَوِّبْ لِساني؛ حتَّى لا يَنطِقَ إلَّا بالحقِّ، ولا يَقولَ إلَّا الصِّدْقَ.
١٢- واهْدِ قَلْبي: أي أرشِدْه ووفِّقْه إلى مَعرِفتِك، ومعرفةِ الحقِّ والهُدى والصِّراطِ المستقيم.
١٣- اسْلُلْ سَخيمةَ قَلْبي: أي أخرِجْ مِن قَلْبي: الحِقْدَ والغِلَّ، والحسدَ والغِشَّ.

وصية النبي ﷺ لأصحابه بالشكر:

أخرج أبو داود من حديث معاذ بن جبل ﷺ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أخذَ بيدِهِ، وقالَ: يا مُعاذُ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللَّهِ إنِّي لأحبُّك، فقالَ: أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ ". (صحيح أبي داود: ١٥٢٢)

وتكلم ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه منازل السالكين" عن الشكر فقال:

١- أنه من أعلى المنازل.

٢ - فوق منزلة الرضا والزيادة، فالرضا مندرج في الشكر ويستحيل وجود. الشكر بدونه.

٣- نصف الإيمان شكر ونصفه صبر.

٤- أمر الله به ونهى عن ضده.

٥- أثنى على أهله ووصفهم بخواص خلقه.

٦- جعله غاية خلقه وأمره.

٧- وعد أهله بأحسن الجزاء.

٨- جعله سببا للمزيد من فضله.

٩- جعل الشكر حارسًا وحافظا للنعمة.

١٠- أخبر الله تعالى أن أهل الشكر هم المنتفعون بآياته.

١١ - اشتق لهم اسمًا من أسمائه (الشكور) وهو يوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يعيد الشاكر مشكورًا.

١٢- أن الشكر غاية الرب من عبده.

١٣- سمى الله نفسه شاكرًا وشكورًا، وسمى الشاكرين بهذين الاسمين، فأعطاهم من وصفه وسماهم باسمه، وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلا.

١٤- أخبر الله سبحانه عن قلة الشاكرين في عباده.

١٥- الشكر لا بد معه من المزيد.

١٦- والشكر عكوف القلب على محبة المنعم، والجوارح على طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه". اهـ

١٥- فضل من شكر الناس على فعل المعروف:

من شكر الناس على معروف فقد شكر اللَّه تعالى:

أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ اللَّهَ** ".

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **لا يَشْكُرُ الله مَن لا يَشْكُرُ الناسَ** ". (صحيح أبي داود: ٤٨١١) (صحيح الجامع:٧٧١٩) (السلسلة الصحيحة:٤١٦)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ الرَّسولُ ﷺ: " **لا يَشكُرُ اللهَ مَن لا يَشكُرُ النَّاسَ** "، أي: لا يَقْبَلُ اللهُ تَعالى شُكرًا مِن عبْدِه الَّذي أحسَنَ إليه، إذا كان هذا العبْدُ ممَّن يَنْسى المعروفَ الذي قدَّمه إليه أحدٌ مِن النَّاسِ، ويَكفُرُ نِعَمَهم، ولا يَشْكُرُهم عليها؛ وذلك لاتِّصالِ الأمرَينِ ببعْضِهما.

وقيل: مَعناه أنَّ مَنْ كان مِنْ طبعِه وعادَتِه كُفرانُ نِعْمَةِ النَّاسِ وترْكُ الشُّكْرِ لهم، كان مِن عادَتِه وطَبْعِه كفْرُ نِعْمةِ اللهِ وترْكُ الشُّكرِ له؛ لأنَّه ليس مُعتادًا على الشُّكرِ. **وقيل معناه:** أنَّ مَن لا يَشكُرُ النَّاسَ كمَن لا يشْكُرُ اللهَ وإنْ شَكَرَه، وإنَّما الحَثُّ على شُكْرِ النَّاسِ ليس لِكوْنِ النِّعمَةِ صدَرَتْ منهم، بل لكونِها جرَتْ على أيديهم، والمُنعِمُ على الحقيقةِ هو اللهُ، فإذا شكَرْتَ عبدًا لكونِه أحسَنَ إليكَ في الدُّنيا، فإنَّ شُكْرَه لكوْنِ الشَّارِعِ أمَرَ بذلك، لا لاعتِقادِ أنَّه فاعِلُ ذلك. (الدرر السنية)

أخرج الإمام أحمد والبيهقي من حديث الأشعث بن قيس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **إنَّ أشكرَ النَّاسِ لِلهِ تبارك وتعالَى أشكرُهم للنَّاسِ** ". (صحيح الترغيب والترهيب:٩٧١)

من أسدي إليه معروفًا فليرده، فإن لم يستطع فليذكره فهذا من شكر المعروف:

فقد أخرج الطبراني من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ أُولِيَ معروفًا فَلْيَذْكُرْهُ، فمَنْ ذكرَهُ فقد شَكَرَهُ، و مَنْ كَتَمَهُ فقد كَفَرَهُ** ". (صحيح الترغيب والترغيب: ٩٧٤)

أخرج الإمام أحمد من حديث عائشة –رضي الله عنها– قال: قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ أُتِيَ إليهِ معروفٌ[1] فليكافئَ بهِ[2]، ومَنْ لمْ يستطعْ[3] فليذكرْهُ[4]، فإنَّ مَنْ ذكرَهُ فقد شكرَهُ** ".

(صحيح الترغيب والترهيب: ٩٧٢)

١- مَن أُتِيَ إليه مَعروفٌ: أي: قدَّمَ إليه أحَدُهم عمَلًا مِن أعمالِ الخيرِ.
٢- فلْيُكافِئْ به: أي فلْيُجازِهِ عليه إنْ كان لديه استِطاعةٌ.
٣- ومَن لم يَستطِعْ: أي: ليس عندهُ ما يُجازي به.
٤- فلْيَذْكُره: أي يُثْني عليه، كما جاء في تتمة الروايةِ:" فإنَّ مَن ذكَرَهُ فقد شكَرَهُ"، أي: فقد اعتَرَف له بحَقِّه وفضْلِه ولم يُنكِرْه عليه.

من أسدي إليه معروفًا فليدع ويثني على صاحبه وهذا من الشكر الواجب:

***فقد أخرج** أبو داود والنسائي وأحمد من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:*

" مِن استعاذَكم باللهِ فأعيذوه[١]، ومن سألكمْ باللهِ فأعطوهُ[٢]، ومن دعاكمْ فأجيبوهُ[٣]، ومن أتى إليكم معروفًا[٤] فكافِئوه[٥]، فإن لم تجدوا[٦] فادعوا لهُ حتى تعلموا أن قد كافأتموهُ[٧] ".

(صحيح أبي داود: ٥١٠٩) (صحيح الجامع:٦٠٢١) (السلسلة الصحيحة:٢٥٤)

***أخرج** أبو داود والترمذي والنسائي في" عمل اليوم والليلة" وأحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:*

" لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول اللهِ! ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بّالأجر كله، فقال النبي ﷺ:" لا، ما دعوتم الله لهم، وأثنيتم بّالأجر عليهم ".

وفي هذا الحديثِ يَحكي أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: أنَّه **"لَمَّا قَدِم النَّبيُّ ﷺ المدينةَ أتاه المهاجِرون، فقالوا: يا رسولَ اللهِ، ما رأَيْنا قومًا أبذَلَ مِن كثيرٍ"**، أي: ما رأينا قومًا أغنياءَ أكثرَ إنفاقًا وإعطاءً للمالِ، **"ولا أحسَنَ مُواساةً مِن قليلٍ"**، أي: ولا رأَيْنا قومًا فُقراءَ أفضلَ مُواساةً لِفُقراءَ مِثلِهم، **"مِن قومٍ نزَلْنا بينَ أظهُرِهم"**، أي: مِن الأنصارِ الَّذين نزَلْنا في دِيارِهم وسكَنَّا وطَنَهم؛ **"لقد كفَوْنا المُؤْنَةَ"**، أي: لقد تحَمَّلوا عنَّا العملَ والمشقَّةَ، **"وأشرَكونا في المهنأِ"**، أي: وأشرَكونا في الخيرِ والنَّعيمِ والهناءَةِ، **"حتَّى خِفْنا أن يَذهَبوا بالأجرِ كلِّه"**، أي: حتَّى أشفَقْنا على أنفُسِنا مِن ذَهابِ الأجرِ كلِّه لهم؛ فقد أجزَلوا لنا العَطاءَ، وأحسَنوا لنا الْمواساةَ فكانوا خيرَ قومٍ. فقال النَّبيُّ ﷺ: **"لا"**، أي: لا تَخافوا مِن فَواتِ الأجرِ ولُحوقِ الخيرِ والثَّوابِ، **"ما دعَوْتم اللهَ لهم"**، أي: شَريطةَ أن تَظلُّوا تَدْعون لهم بالجَزاءِ الحسَنِ والخيرِ والبرَكةِ، **"وأثْنَيْتُم بالأجرِ عليهم"**، أي: وشَكَرتُم لهم فِعلَهم معَكم، وقيل: المعنى أنَّ المهاجرين استَكْثَروا فِعْلَ الأنصارِ معَهم وأرادوا أن يُجازوهم ويُكافِئوهم، فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: إذا أرَدتُم أنْ تُكافِئُوهم فادْعُوا لهم بالخيرِ والبَرَكةِ، واشكُروا لهم وأَثْنُوا عليهم؛ فإنَّ دُعاءَكُم يَقومُ بِحَسَناتِهم إلَيكُم، وثَوابَ حَسَناتِكم راجِعٌ علَيكم. (الدرر السنية)

وإحسان المكافأة يعني اختيار ما يدخل الفرح والسرور على صاحب المعروف، فكما أنه أدخل على قلبك المسرة، فينبغي أن تسعى لشكره بالمثل، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (الرحمن:٦٠) فإن قصرت الحيلة عن مكافأته بهدية، أو مساعدة في عمل، أو تقديم خدمة له، ونحو ذلك، فلا أقل من الدعاء له، وقد يكون هذا الدعاء من أسباب سعادته في الدنيا والآخرة.

١- مَنِ اسْتَعاذَكم باللهِ فأَعِيذُوه: أي مَنْ طَلَب مِنْكم وسأَلَكم باللهِ أنْ تُعِينوه على ما وقَعَ بِه مِنَ الشَّرِّ والأذى، فقدِّموا له كُلَّ العونِ والمساعدةِ.
٢- ومَنْ سألَكم باللهِ فَأَعْطُوه: أي ومَن طَلَب مِنكم العطاءَ لوَجْهِ اللهِ وهو مُحتاجٌ فأَعْطُوه؛ تَعظيمًا للهِ الَّذي سألَكُم بِه، بقَدْرِ اسْتِطاعتِكم دونَ مَشقَّةٍ عليكم، وليس في هذا أَمْرٌ لإعطاءِ مَنْ يسأَلُ تَكثُّرًا وطَمَعًا.
٣- ومَنْ دعاكم فأَجِيبوه: أي: إلى وَلِيمةٍ وطعامٍ وما أَشْبَهَ ذلك فلَبُّوا دَعْوتَه.
٤- ومَنْ أَتى إليكُم معروفًا: أي صَنَعَ لكُمْ خيرًا.
٥- فكافِئوه: أي فجازُوه على مَعروفِه بما يُساويه أو بما يَزيدُ، كما قال تَعالى: {وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا} (النساء: ٨٦).
٦- فإنْ لَمْ تَجِدوا: أي ما تُكافِئُوه بِه على ما فَعَل مِنْ مَعروفٍ.
٧- فادْعُوا له حتَّى تَعْلَموا أنْ قَدْ كافَأْتُموه: أي اجْتَهِدوا في الدُّعاءِ له حتَّى يَصِلَ الظَّنُّ في الدُّعاءِ أنَّه قَد وُفِّيَ حَقَّه، وكلُّ هذا مُرْتَبِطٌ بالقُدْرةِ والاسْتِطاعةِ وعدمِ الإعانةِ على الإثْمِ.

ومن أفضل صيغ الدعاء لمن أدى إليك معروفا ما جاءت به السنة:

فقد أخرج الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى" عن أسامة بن زيد –رضي الله عنهما – قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا[1]. فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ** ".

(صححه الألباني في صحيح الترمذي)

وقد ورد هذا الدعاء من قول النبي ﷺ في سياق حديث طويل وفيه قوله:" **وَأَنتُم مَعشَرَ الأَنصَارِ! فَجَزَاكُمُ اللَّهُ خَيرًا، فَإِنَّكُم أَعِفَّةٌ صُبُرٌ**". (رواه ابن حبان والحاكم) (السلسلة الصحيحة:٣٠٩٦)

وأخرج أبو داود والترمذي وأحمد من حديث أنس بن مالك ﷺ قال:" **أنَّ المُهاجرينَ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الأنصارُ بالأجرِ كلِّهِ. قالَ: لا ما دَعوتُمُ اللَّهَ لَهُم، وأثنيتُمْ علَيهِم** ".

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ: "**أنَّ المُهاجِرينَ قالوا: يا رسولَ اللهِ، ذَهَبَ الأنْصارُ بالأَجْرِ كُلِّهِ**"، وذلك لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ ﷺ المدينَةَ، فأتاهُ المهاجِرونَ، فقالوا ذلك؛ لأنَّ الأنْصارَ كانوا أفْضَلَ مُواساةً للمُهاجِرينَ، ولِلنَّبيِّ ﷺ ، والمَعْنى أنَّ المُهاجِرينَ أَشْفَقوا على أنْفُسِهم مِن ذَهابِ الأَجْرِ كُلِّهِ للأنْصارِ، فقال النَّبيُّ ﷺ: "**لا**"، أي: لا تَخافوا مِن فَواتِ الأجرِ ولُحوقِ الخيرِ والثَّوابِ، "**ما دعَوْتم اللهَ لهم**"، أي: شَريطةَ أن تَظَلُّوا تَدْعونَ لهم بالجَزاءِ الحَسَنِ والخَيْرِ والبَرَكةِ، "**وأَثْنَيْتُم عليهم**"، أي: وشَكَرْتُم لهم فِعْلَهُم معَكم، وقيل: المَعْنى أنَّ المُهاجِرينَ استَكْثَروا فِعْلَ الأنصارِ معَهم، وأَرادوا أن يُجازوهم ويُكافِئوهم، فقال لهم النَّبيُّ ﷺ: إذا أرَدْتُم أنْ تُكافِئُوهم فادْعُوا لهم بالخَيْرِ والبَرَكةِ، واشكُروا لهم وأَثْنُوا عليهم؛ فإنَّ دُعاءَكُم يَقومُ بِحَسَناتِهم إلَيكُم، وثَوابَ حَسَناتِكم راجِعٌ علَيكم.

أخرج أبو داود والنسائي من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قالت المهاجرون: **يا رسول اللَّه! ذهبت الأنصار بالأجر، ما رأينا قوما أحسن بذلا لكثير ولا أحسن مواساة في قليل منهم، ولقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهن. فقال: النبيﷺ:" أليس تثنون عليهم وتدعون لهم؟ قالوا: بلى، قال:" فذاك بذاك".**

(صحيح الترغيب والترهيب:٩٧٧)

أخرج أبو داود والترمذي من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **مَن أُعْطِيَ عطاءً فوجَدَ فليَجْزِ به، فإن لم يَجدْ فليُثْنِ به، فمن أَثْنى به فقد شكَرَه، ومَن كَتَمَه فقد كَفَرَه** ".

(صحيح أبي داود: ٤٨١٣) (صحيح الترغيب والترهيب:٩٦٨)

١- جزاك الله خيرا: أي أطلب من الله أن يثيبك خيرا كثيرًا. (فيض القدير:٤١٠/١).

من قال جزاك الله خيرًا لمن فعل المعروف فقد أبلغ الثناء:

فقد أخرج الترمذي والنسائي في" السنن الكبرى من حديث أسامة بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **من صُنعَ إليهِ معروفٌ، فقالَ لفاعلهِ: جزاكَ اللَّهُ خيرًا، فقد أبلغَ في الثَّناءِ** ".

(صحيح الجامع:٦٣٦٨)

أخرج ابن السني والطبراني في" الصغير" من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **إذا قال الرجلُ لِأَخِيهِ: جَزَاكَ اللهُ خيرًا، فقد أَبْلَغَ في الثَّناءِ** ". (صحيح الجامع: ٧٠٨)

وجاء في مصنف ابن أبي شيبة عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: " **لو يعلم أحدكم ما له في قوله لأخيه: جزاك الله خيرا، لأَكثَرَ منها بعضكم لبعض** ".

وقال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في" شرح رياض الصالحين:٤/٢٢": " والمكافأة تكون بحسب الحال، من الناس من تكون مكافأته أن تعطيه مثل ما أعطاك أو أكثر، ومن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له، ولا يرضى أن تكافئه بمال، فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة، وله جاه وشرف في قومه إذا أهدى إليك شيئا فأعطيته مثل ما أهدى إليك رأى في ذلك قصورا في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له،" فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه "، ومن ذلك أن تقول له:" جزاك الله خيرا "، وذلك لأن الله تعالى إذا جزاه خيرا كان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة ". اهـ

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا   جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك